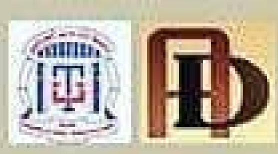
صموئيل نوح كريمر
Samuel Noah Kramer

الأساطير السومرية

دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد

ترجمة
يوسف داوود عبد القادر



الأساطير السومرية

الأساطير السومرية

دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد

تأليف: صموئيل نوح كريمر
ترجمة: يوسف داود عبد القادر

الناشر
جمعية المترجمين العراقيين

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٧١

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٢) لسنة ١٩٧١

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

فهرست الصور

حول المؤلف

— مؤلف الكتاب صمويل نوح كريمر Samuel Noah Kramer ولد في روسيا في عام ١٨٩٧ .

— هاجر الى الولايات المتحدة الامريكية وعمره ١٩ سنة .

— حصل على تدريبه الجامعي في جامعة بنسلفانيا وتخرج منها .

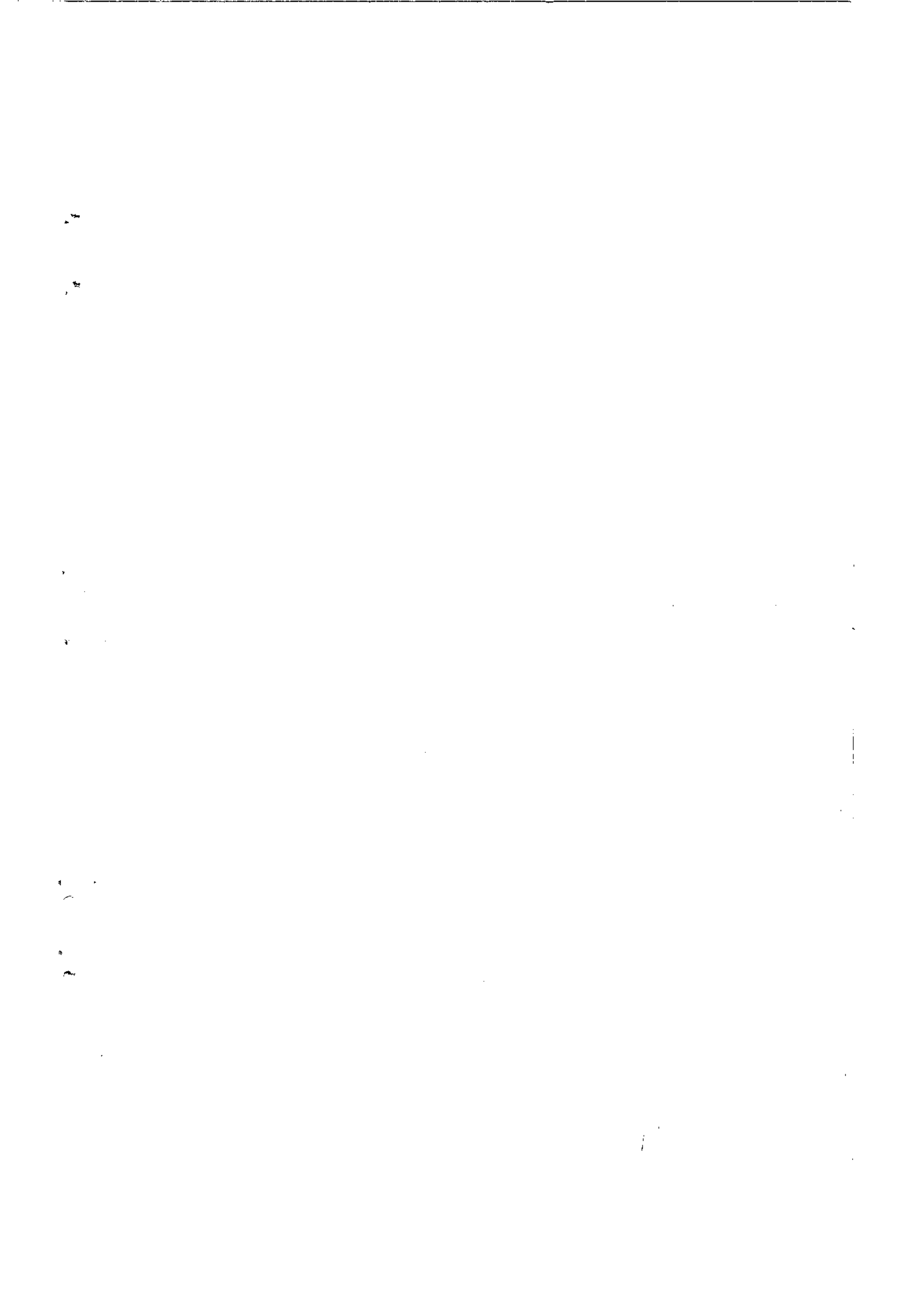
— شارك في أعمال بعثة التنقيبات الاثرية التي أوفدتها جامعة بنسلفانيا الى العراق في عام ١٩٣٠ .

— امضى ردحاً من الزمن يعمل ضمن أعضاء هيئة الباحثين في المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ثم في جامعة بنسلفانيا .

— يشغل الآن وظيفة استاذ باحث في جامعة بنسلفانيا وأمين قسم الالواح السومرية ـ البابلية في متحف الجامعة .

— يعتبر من مشاهير العلماء الاثريين المختصين بالمباحث المسمارية بوجه عام والمباحث السومرية بوجه خاص .

— نشر العديد من المقالات والبحوث والمؤلفات واليه يرجع الفضل في الكشف أروع فصل في تاريخ الانسانية الروحي والادبي .



كلمة المترجم

ليس ثمة شك بأن حضارتنا القائمة ان هي الا امتداد لحضارات تعاقبت منذ بزوغ فجر اولى الحضارات الانسانية ، وان ثمار المعرفة التي يجنيها عالم اليوم ما هي الا حصيلة ذلك الغرس الذي نما وترعرع خلال الوف الاعوام التي قضتها الانسانية في مسيرتها الحضارية ، لقد زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون ، وتلك سنة من سنن تطور الوجود الانساني .

لا يستطيع الانسان بحال من الاحوال أن يعيش بمعزل عن ماضيه ، ولن يستطيع أن يجد تفسيراً لواقع حاضره ما لم يدرك حقيقة ماضيه ، وكلما ازددنا علماً بماضي الانسانية تفتحت لنا أبواب حاضرها واتسعت آفاق معارفنا واتضحت معالم السبيل الذي يقودنا نحو عالم أفضل .

ان ايضاح الجوانب المجهولة في تاريخ الانسان ، أي معرفة الماضي المندثر هي الغاية التي يهدف اليها علم الآثار ، ذلك العلم الذي لم يمض على نشوئه سوى قرن واحد وهو لهذا السبب يعتبر من المعارف الانسانية الحديثة العهد ، غير ان الانجازات الكبيرة التي حققها في غضون الاعوام الخمسين الاخيرة كانت على جانب خطير من الاهمية .

ولابد لنا قبل ايضاح هذه الانجازات من أن نقف قليلا لتبيان ماهية هذا العلم وأغراضه .

يهدف (علم الآثار) (الاركيولوجيا) الى تطبيق الطرق العلمية على أعمال التنقيب الحقلي للحصول على حقائق تأريخية جديدة آخذاً بنظر الاعتبار كون القيمة الحقيقية للمادة المكتشفة لا تحددها طبيعة المادة نفسها بل ما تتضمنه من دلالات وحقائق جديدة تصلح لملء فجوات الاحداث والنصوص التاريخية واضاءة الجوانب المعتمة التي تكتنف أحداث الحضارة الانسانية .

لقد وفرت الجهود المضنية التي بذلها علماء الآثار ، سواء في حقل التنقيبات التي جرت في المواقع التاريخية أو في مجالات البحوث والدراسات الاثرية ، مصدراً غنياً للمؤرخين والمختصين بالدراسات الفنية والادبية والدينية ولعلماء الاعراق البشرية والانثروبولوجي والفولكلور •

وبفضل البحوث والدراسات الاركيولوجية ، تمكن المؤرخون من معرفة قصة الانسان وتطوره الحضاري على شطآن وادي النيل ودجلة والفرات وفي البلدان المجاورة ، وبذلك تم اجماع العلماء على أن منطقة الشرق الادنى هي مهد الحضارات ومصدر الاشعاع الثقافي في العالم أجمع ، ونذكر على سبيل المثال ، ان المؤرخ الانكليزي الذائع الصيت (ارنولد توينبي) قد اعتمد على هذه البحوث والدراسات في وضع مؤلفاته الشهيرة في فلسفة التاريخ وأصول الحضارات ، كما أن هذه البحوث هي التي مهدت السبيل امام العلماء الاثريين أمثال (أدورد هنكس) و (يوليوس اوبرت) وغيرهما ، ومكنتهم من اكتشاف حضارة السومريين التي لم ترد عنها أية أشارة في المدونات الكلاسيكية والتوراتية القديمة ، الى أن أدت جهود هؤلاء العلماء الى اكتشاف حضارة هذا الشعب الذى امّحى ذكره من ذاكرة الاجيال المتعاقبة بعد أن زال من الوجود كقوة سياسية •

وكانت الاساطير والنصوص الادبية من جملة المواضيع التي ساهم علماء الآثار في وضع مختلف البحوث والدراسات عنها ، وبعد أن ظهر (الانثروبولوجي) كعلم جديد في عالم المعرفة وبرزت أهميته الاساسية في دراسة علم الاساطير المقارن ، وبعد النجاح المطرد الذى أصاب الجهود المبذولة لحل رموز الخطين الهيروغليفي والمسماري ، وتطور الدراسات التوراتية ، اتضح بأن (العهد القديم) يتسم بخصائص ميثولوجية لما وجد

من تشابه بين محتوياته ومحتويات المصادر السومرية والبابلية والمصرية •

ان الاساطير لها أهميتها الكبيرة فى دراسة تاريخ الفكر الانساني ، فحين كان المجتمع البشري يقطع المراحل الاولى من طريق تطوره الصاعد ، لم يكن الانسان يملك من أدوات البحث ووسائل التفكير ما يعينه على النفاذ الى أعماق الوجود واستخلاص الحقائق الموضوعية منه ، فكانت الاسطورة وسيلته الى ذلك ، ولهذا نستطيع القول بأن الاساطير هي أول محاولة في تاريخ الفكر الانساني لوضع مفاهيم فلسفية تهدف الى انقاذ الانسان من متاهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها •

ان الاسطورة هي (قصة مقدسة) تتضمن موضوع الخلق وبداية الوجود وتصف الاحداث المثيرة التي صاحبت عملية الخلق والدور الذى قامت به مختلف الآلهة والمخلوقات الاسطورية فى هذه الاحداث •

على أن الاسطورة لم تكن خالية من براعة فى التصوير واصالة فى الاسلوب ودقة فى الصياغة ، بل ان الجانب الفني والادبي يكاد يطغي على الجانب الفكري فيها ، وسبب ذلك هو ان المعارف الفكرية الانسانية فى الازمان القديمة لم تكن قد تبلورت وصنفت بشكل يمكّن واضعي هذه الاساطير من عرض فكرة أو مبدأ عقلي محض دون صياغته واخراجه بقالب أدبي وفني ، ولهذا السبب فأن المعنيين بالدراسات الميثولوجية قد لجأوا الى تحليل كل اسطورة ثم جردوها من خائصها اللاهوتية والفنية وتمكنوا بذلك من سبر أغوار الجوانب العقلية فيها •

ولما كانت الاساطير السومرية هي أقدم النماذج الادبية المكتشفة حتى الآن ، فأنها تعتبر من أهم المصادر الحيوية المعول عليها فى فهم ودراسة الاساطير السائدة فى الشرق الادنى القديم •

لقد كانت هذه الاساطير من جملة المدونات التاريخية التي اكتشفتها

عدة بعثات تنقيبية في فترات متفاوتة في بلاد ما بين النهرين (العراق) وبلغ عدد الكسر والالواح التي دونت عليها التآليف الادبية السومرية نحـــو ثلاثة آلاف لوح وكسرة تؤلف ما لا يزيد على واحد بالمئة من مجمـوع المواد المكتشفة ، وهذه المواد تعكس النتاج الفكري السومري المتمثـل في الملاحم والاساطير والتراتيل والمراثي والحكم •

ان مبحث (الاساطير السومرية) ، وهو مادة الكتاب الذي أقـــدم ترجمته لقراء العربية ، يتضمن دراسة في المنجزات الروحية والادبية في الالف الثالث قبل الميلاد ، وضعه العـــالم الاثري الكبير (صموئيل نوح كريمر) الذي بذل جهودا كبيرة طيلة عشرات الاعوام التي قضاها في الدراسة والبحث والاستقصاء وأصبح في طليعة العلماء المختصين بالمباحث السومرية• وقد زار العراق في عام ١٩٣٠ ضمن اعضاء البعثة التنقيبية التي أوفدتهـا جامعة بنسلفانيا ، ووضع العديد من المقالات والبحوث والمؤلفات ، ومن أشهرها كتاب (من ألواح سومر) الذي ترجمه الى العربية العالم الآثاري العراقي الاستاذ طه باقر ، وهـــذا الكتاب (الاساطير السومرية) الذي صدرت طبعته الاولى في عام ١٩٤٤ ، قد أعيد طبعه في عام ١٩٦١ بعد أن أضاف اليه المؤلف ملحقا ضمنه ما استدرك من تصويبات وتنقيحات معتمدا على ما استجد من حقائق علمية جـديدة في غضون الستة عشر عاما التي مضت على صدور الطبعة الاولى ، وقد اعتمدت في الترجمة على هذه الطبعة الاخيرة ••• ولعلي بذلك أن أكون قد ساهمت في تقديم مادة غنيـة من تراثنا العراقي الاصيل للباحثين والفنانين والادباء على حد سواء •

ولئن كان للعراقيين القدامى دين بذمة أبناء جيل القرن العشرين ينبغي اداؤه بنشر مآثرهم ومنجزاتهم ، فنحن ابناء وادي الرافدين مطالبون قبل غيرنا بالوفاء ولو بقسط ضئيل من هذا الدين •

بغداد في : ٢٤ تشرين الاول ــ ١٩٧٠   المترجم

الكتابة والقانون ، حقيقتان تتسمان بأهمية خطيرة فى بناء الحضارة ، ولكن ثمةحقيقة أخرى تسير جنبا الى جنب مع هذين العنصرين الحضاريين، وهي استمرار شعور الافراد بالحقوق والالتزامات في عالم تتقاذفه الاحداث والتغييرات المثيرة ، ان هذا الشعور هو الذى يحدد طريق الامل فى كفاح الانسان من أجل الحضارة • ونحن الآن لا نزال فى بداية تقديرنا لاهمية الدور الخطير الذى ساهمت فيه حضارة وادى الرافدين فى هذا الكفاح الملحمي •

سبيزر

لم يساهم شعب فى توسيع آفاق المعرفة الانسانية بالقدر الذى ساهم فيه الشعب السومري •

ثيوفيل ميك

يا دار سومر !

ياسومر • ايها البلد العظيم ، يا أعظم بلد
في العالم •
لقد غمرتك الاضواء المستديمة ، والناس من
مشرق الشمس الى مغربها ، هم طوع شرائعك
المقدسة
ان شرائعك سامية لا يمكن ادراكها
وقلبك عميق لا يمكن سبر أغواره
الملك الذي تلده ، يزين نفسه بالحلى الدائمية
الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس
ربك هو رب معظم
أيه يادار سومر ! عسى أن تكثر اسطبلاتك !
عسى أن تكثر أبقارك !
عسى أن تزداد زرائبك ! عسى أن تكثر أغنامك
بحيث لا يمكن أن تعد ولا تحصى !

أبيات من قصيدة نظمها
شاعر سومري في الالف
الثالث قبل الميلاد

الأساطير السومرية

تصديـــر

السومريون شعب لا ينتمي الى مجموعة الشعوب السامية أو الهندية الاوربية ، وقد ازدهرت حضارتهم فى القسم الجنوبي من بلاد بابل منذ بداية الالف الرابع حتى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد • وفى خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن ، كان السومريون ، وهم الشعب الذى لايزال انتسابه العرقي واللغوي غير معروف تماما ، يمثلون الجماعات البشرية التي سادت ثقافتها جميع أجزاء الشرق الادنى •

وتتجلى هذه السيادة الثقافية فى اتجاهات ثلاثة :

١ ـ ان السومريين هم الذين طوروا ، ومن المحتمل انهم قد ابتكروا طريقة الكتابة المسمارية التي اقتبستها جميع شعوب الشرق الادنى على وجه التقريب ، والتي لولاها لكان التقدم الثقافي فى غربي آسيا غير ممكن فى أغلب الاحتمالات •

٢ ـ طور السومريون المفاهيم الدينية والروحية كما دمجوا مجموعة الآلهة المختلفة على نحو رائع فكان لهذا الدمج أثره العميق على شعوب الشرق الادنى بضمنهم العبرانيين والاغريق اضافة الى نفاذ الشيء الكثير من هذه المفاهيم الروحية والدينية الى عالمنا المتمدن الحديث عن طريق الاديان السماوية •

٣ ـ انتج السومريون أدباً يتسم بالضخامة وسرعة التطور ويتميز بالكثير من الخصائص الشعرية ، ويتألف من الملاحم والاساطير والتراتيل والمراثي والامثال والحكم ، وقد كتبت هذه التآليف بالحروف المسمارية على ألواح من الطين يرجع تاريخ كتابتها الى ما يقرب من ١٧٥٠ سنة قبل

الميلاد ، وفى خلال المئة سنة الماضية تم اكتشاف ما يقرب من خمسة آلاف قطعة أدبية فى التلال السومرية القديمة ومنها ما يزيد علـى الالفين ، أي أكثر من ثلثي مصادرنا المادية اكتشفت من قبل جامعة بنسلفانيا فى التـلال التي تغطي موقع (نفر) القديمة وذلك خلال اربع حملات علمية مرهقة استمرت من عام ١٨٨٩ الى ١٩٠٠ ، ولهذا فأن هذه الالواح والكسرات تمثل المصدر الرئيس لاعادة تركيب التآليف السومرية •

وتعتبر هذه التآليف نتاجا ادبيا له مكانة مرموقة بين ما ابتدعه الانسان المتمدن من نتاج ذهني ، وليس من العسير مقارنتها بالطرف الادبية الاغريقية والعبرانية القديمة ، وهي كتلك الطرف تعكس الحياة الروحية والثقافيـة لحضارة أخرى عرف عنها الشيء القليل ، ومن الصعوبة جـدا القول بأن ابراز أهمية هذه التآليف بالنسبة للتطـور الروحي والثقـافي فى الشرق الادنى يعتبر مغالاة فى التقدير •

لقد اقتبس الآشوريون والبابليون هذه التآليف برمتها تقريبا كمـا ترجمها الحيثيون الى لغتهم وليس ثمة شك بأنهم قد حافظوا على أصولهـا بقدر المستطاع ، وتعتبر المبتكرات الادبيـة العبرانية بشكلها ومضمونها ، وكذلك المبتكرات الادبية عند الاغريق القدامى ، الى حد معين ، خاضـعة للمؤثرات الادبية السومرية •

ان هذه التآليف بصورة خاصة ، بوصفها أقدم نتاج أدبي مدون تم اكتشافه حتى الآن ويتميز بمقـدار بالغ من الاهميـة ، تزود علماء الآثار والانثروبولوجي وعلماء الاعراق البشرية وتلاميـذ الفولكلور وطـــلاب تاريخ الاديان وتاريخ الادب ، تزود هؤلاء جميعا بمصدر مادي لم يكن في الحسبان ، جديد في نوعيته وغني في محتوياته •

والتآليف السومرية على الرغم من أهميتها الخطيرة والفريدة فى نوعها ، وبالرغم من أن معظم الالواح الكبيرة التي كتبت عليها قد اكتشفت

منذ نصف قرن تقريبا ، ومع هذا فأن عملية نقلها وترجمتها كانت بطيئة نسبيا حتى الآن .

ان الترجمة عن اللغة السومرية عملية معقدة جدا ، ولم يتم وضع قواعد هذه اللغة بصورة علمية الا في السنوات الاخيرة نسبيا في حين ان الكثير من مشاكل مفرداتها اللغوية لم يتم التوصل الى حلها حتى الآن .

والعقبة الرئيسية التي تحول ، الى حد بعيد ، دون اعادة تركيب هذه التآليف وترجمتها بصورة مضبوطة ، هي ان الجزء الاكبر من هذه الالواح والكسر التي كتبت عليها ، والتي يوجد الكثير منها في متحف الشرق القديم في اسطمبول ومتحف الجامعة في فيلادلفيا ، لا تزال مخزونة (في هذين المتحفين) ولم يتسن استنساخها أو نشرها ، وبذلك أصبحت هذه المواد غير مهيأة للدراسة ، ولمعالجة هذا الوضع ، سافرت الى اسطمبول في عام ١٩٣٧ مستفيدا من زمالة قدمتها لي مؤسسة (گوگنهايم) ، وكرست طوال عشرين شهرا لاستنساخ ١٧٠ لوحا وكسرة في مجموعة نفر في متحف الشرق القديم .

وبفضل المنحة التي قدمتها لي الجمعية الفلسفية الامريكية ، تمكنت من تكريس خيرة الاوقات من الاعوام الثلاثة الماضية لدراسة القطع الادبية غير المنشورة من مجموعة (نفر) في متحف الجامعة وتمكنت من استنساخها ايضا .

ونظرا لتوفر هذه الكمية الكبيرة من الالواح والكسر الادبية السومرية غير المنشورة والموجودة في متحف الجامعة والتي يقدر عددها بنحو ٦٧٥ قطعة وذلك استنادا الى تحقيقاتي الخاصة ، سوف يصبح في الامكان احياء وترجمة التآليف السومرية الادبية ووضع الاسس لدراسة الثقافة السومرية وخاصة في المجالات الروحية بشكل موسع ، تلك الدراسة التي اذا أخذنا العصر الثقافي الذى ازدهرت فيه بنظر الاعتبار وهو الالف

الثالث قبل الميلاد ، ستبقى أمدا طويلا لا تضاهيها دراسة أخرى من حيث اتساع المجال الفكري ووفرة التفاصيل .

ويرى المؤلف ان هـذه الدراسة ستتميز بأهمية خاصة وستضمها مجموعة من الكتب تقع فى سبعة أجـزاء بعنوان « دراسات فى الثقافة السومرية » والجزء الاول من هذه السلسلة هو الكتاب الذى بين يدي القارىء وهو عبارة عن مدخل مطول يحتوي على وصف مفصل لمصادرنا وموجز الخطوط العريضة للتصورات الميثولوجية التي تتسم بأهمية أكثر من سواها والتي تتضح فى ملاحم القوم وأساطيرهم .

والاجزاء الخمسة التي تلي هذا الجزء ، كما وضعت من قبل المؤلف ، سوف تحتوي بصورة رئيسة المصادر المادية ، أي انها ستحتوي على نقل نصوص التآليف السومرية التي أعيد تركيبها (أى نقل الحروف السومرية الى الحروف اللاتينية) وكذلك ترجمتها ووضع الشروح واستنساخ النصوص الخطية لجميع المواد غير المستنسخة المتعلقة بها والموجودة فى مكتبة المتحف والتي ستكون ذات فائدة فى اعادة تركيب هذه النصوص .

وستضم هذه الاجزاء الخمسة صنفا معينا من التآليف السومرية وهي (١) الملاحم ، (٢) الاساطير ، (٣) التراتيل ، (٤) المراثي ، (٥) الحكم .

وليس فى الامكان الجزم بموعد انجاز هـذه المهمة والتحقيق فى الادب السومري وجلعه فى متناول العلماء ، والناس الآخرين ، وستكون الدراسات الانسانية[١] ثرية بأروع مجموعة من الوثائق ظهرت للوجود ،

(١) وهي العلوم والدراسات الثقافية والبحوث التي تتصل بالفكر الانساني ومجالات تطوره وصلة الافراد والجماعات بعضها ببعض وتشمل على وجه التخصيص العلوم الرفيعة والمأثورات والادب والتاريخ والفلسفة .

(المترجم)

وكما هو شأن الكتابات القديمة المبتكرة ، فستكون هذه الوثائق ذات أهمية فريدة من نوعها في تاريخ الحضارة ، أضف الى ذلك ان ما تركته هذه التآليف من تأثير دائم على مجرى التطور الروحي والادبي في الشرق الادنى ، قد جعل منها مصدر ثراء ثقافي وكنوزا للمصادر المادية الرائعة ومجموعة من الحقائق التاريخية التي لا تقدر بثمن ، كل هذه أصبحت في متناول أبناء الجنس البشري ممن يعنيهم الامر •

اما موضوع الجزء السابع فسيكون (الديانة السومرية : دراسة مقارنة) وهو آخر جزء في المجموعة ، وسيتضمن صورة مجملة للتصورات الدينية والروحية عند السومريين كما يعكسها أدبهم الخاص ، كما سيضم هذا الجزء بحثا في تأثير هذه التصورات على التطور الروحي والثقافي في جميع انحاء العالم •

لقد جعلت هذا الجزء خاتمة أجزاء الكتاب لاسباب مقنعة وواضحة ، وآية ذلك انه حينما تتم عملية اعادة تركيب التآليف السومرية بصورة علمية وتترجم بالشكل الذي يعتمد عليه ، سيصبح في الامكان القول بأنها تآليف مهمة رغم ما يحيقها من صعوبات وتعقيدات ، وحينما تتهيأ هذه الظروف ستضم الاجزاء الستة الاولى المعلومات والمصادر الاولية في حين ان الجزء السابع سيكون محاولة لاستخلاص النتائج من المقدمات التي تتضمنها تلك الاجزاء الستة الاولى ووضع الاحكام النهائية وتقديمها للمؤرخين والناس الآخرين ، وعسى أن تكون هذه الخطة التي وضعناها لتهيأة الكتاب ونشره ، لها ما يبررها للحصول على نتائج بالغة الاهمية وجديرة بالاعتماد • أود أن أعبر عن صميم شكري لمؤسسة (يانه) التذكارية ومجلسها الذي انتخبني محاضرا لعام ١٩٤٢ للتحدث في موضوع الاساطير السومرية ، وعن امتناني لمجلس مدراء متحف الجامعة ومديرها ، الدكتور (جورج • سي • فايلانت) وسلفه السيد (هوراك • أج • أف • يانه)

والى الاستاذ (ليون لگرين) أمين القسم البابلي لتعاونهم العلمي ووضعهم الالواح السومرية فى متناول يدي لدراستها •

وأتقدم بخالص الشكر الى وزارة معارف الجمهورية التركية ودائرة الآثار فيها لسماحهم لي بدراسة واستنساخ عـدد من الالواح الادبيـة السومرية من مجموعة (نفر) في متحف الشرق القديم فى اسطمبول ، والى أعضاء الحلقة الدراسية الشرقية فى جامعـة بنسلفانيا الذين قامـوا بالقراءة الاولية لمسودات هذه الدراسة •

وأقدم شكري الى مؤسسة (جـون سيمون گوگنهايم) التذكارية التي قدمت لي احـدى الزمالات للاعـوام ٣٧ - ١٩٣٨ - ٣٨ - ١٩٣٩ والمؤسسة الشرقيـة لجامعـة شيكاغو التي أتاحت لي فرصة السفر الى اسطمبول حيث أمضيت عشرين شهرا فى الدراسـة فى متحف الشـرق القديم •

ولئن كنت مدينا للمساعدات المادية الصغيرة التي قدمت لي ، فالفضل الاكبر منها يعود للجمعية الفلسفية الامريكية التي هيأت لي امكانية هـذه الدراسة ومكنتني من اعادة تركيب التآليف الادبيـة السومرية وترجمتها بشكل دقيق وبذلك تسنى لي أن أقدم للعالم أجمع أقدم ما اكتشف من نتاج أدبي من ضمن ما انتج فى العالم من آداب بالغة الاهمية •

وأتقدم بالشكر الى شركة (ماكمليان) ومطبعة جامعة شيكاغو التي سمحت لي باعادة طبع بضعة تصاوير فى هـذا الكتاب أشرت اليهـا فى شروحها •

المقدمة

المصادر ـ الالواح الادبية السومرية التي يرقى تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد تقريباً

ان دراسة الثقافة السومرية التي نقدمها في هذا الجزء بعنوان (الاساطير السومرية) تعتمد الى حد كبير على المصادر الادبية السومرية ، وسوف تتضمن هذه الدراسة بحث المفاهيم الروحية والدينية عند السومريين وكذلك النصوص التي اعيد تركيبها وترجمة التآليف الادبية السومرية التي تعكس هذه المفاهيم ، ولهذا فمن المهم جداً أن يحصل القارىء على صورة واضحة لطبيعة مصادرنا التي تتألف بالاصل من ثلاثة آلاف لوح وكسرة نقشت عليها كتابة باللغة السومرية يرجع تاريخها الى ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد تقريباً ، والغاية الاولى التي نهدف اليها من كتابة مقدمة هذا الجزء ، هي تقديم هذه الصورة الواضحة ، ولهذا السبب نستهل هذه المقدمة بوصف موجز للسبيل الوعر الذى سلكناه فى حل رموز اللغة السومرية ثم نقدم عرضاً ملخصاً للتنقيبات التي جرت في مختلف المواقع الاثرية خلال المدة التي استغرقت ثلاثة أرباع القرن الماضي •

وبعد استعراض موجز شامل لما تتضمنه كمية ضخمة من مواد الالواح السومرية التي تم اكتشافها خلال فترة التنقيبات ، نعود الى بحث الالواح السومرية الادبية التي تعتبر المادة الاساسية في دراستنا مع ايضاح محتويات هذه الالواح وتاريخها بشيء من التفصيل •

ثم نختتم هذه المقدمة بتبيان العوامل التي حالت فيما مضى دون امكان اعادة تركيب هذه التآليف السومرية وترجمتها بشكل يعتمد عليه • ان بحث هذه العوامل بحد ذاته ، لا يعتبر من الامور غير المفيدة لانها تزودنا بشرح واف عن مجرى تقدم احدى الجهود الانسانية التي بذلت في هذا الجيل •

ان حل رموز الكتابة السومرية يختلف عن حل رموز الكتابتين الاكدية والمصرية لسبب مهم كان من جملة العوامل التي أدت الى عرقلة تقدم الدراسات السومرية ، ويتضح هذا السبب في القول بأن علماء أوربا الغربية من المعنيين بحل رموز الكتابات المصرية والآشورية والبابلية ، كان بحوزتهم قدر غير قليل من المراجع والمواد التوراتية والكلاسيكية وما بعد الكلاسيكية ولم يكن اسم مصر وآشور وبابل من الاسماء المعروفة جيداً ولكنها كانت معروفة على الاقل ضمن حدود معينة ضيقة ، وحتى ان ثقافة هذه الشعوب كانت شائعة بصورة عامة ، في حين ان الوضع بالنسبة للسومريين يختلف كثيراً حيث لم يرد في أدبيات الكتاب المقدس دلالة أو اشارة عابرة الى سومر أو اللغة السومرية ، ذلك لان سومر على حقيقتها قد امحت من ذهن الانسان وذاكرته منذ ألفى سنة وان اكتشاف السومريين ولغتهم كان من الامور غير المتوقعة أبداً .

ان هذه العوامل ، مهما كانت صلتها بموضوع البحث قريبة أو بعيدة ، فهي على الاقل تؤلف جانباً من العراقيل التي صاحبت تقدم علم السومريات منذ الايام الاولى حتى الآن .

ومن الناحية التاريخية يعتبر حل رموز اللغة السومرية نتيجة لحل الرموز الاكدية التي كانت بدورها سبباً في حل رموز المسمارية الايرانية ، ومختصر القول ، كانت هذه العملية تجري على النمط التالي :

في عام ١٧٦٥ تمكن العالم والرحالة الدنيماركي(كارستن نيبور) من استنساخ بضع كتابات منقوشة على النصب الموجودة في(برسيبولس)[١]

(١) هي احدى العواصم الفارسية القديمة ، اسسها الملك الاخميني (داريوس) وقد أطلق عليها هذا الاسم المؤرخون الاغريق ولكن اسمها الحقيقي غير معروف ، وقد استولى عليها الاسكندر الكبير في شباط عام ٣٣٠ قبل الميلاد واضرم النار في قصورها ومعابدها انتقاماً من الفرس الذين أحرقوا معابد الاغريق خلال الحروب الفارسية الاغريقية . (المترجم)

ونشرت هذه الكتابات بين عامي ١٧٧٤ و ١٧٧٨ ، وسرعان ما اتضح بأنها ثلاثية اللغات ، أي ان نفس الكتابة قد اعيد كتابتها بثلاث لغات مختلفة ، ولم يكن ثمة ما يدعو الى الشك بصحة هذا الرأي لان هذه النصب تقع في (برسيبولس) أي انها قد كتبت من قبل ملك أو عدة ملوك من السلالة الاخمينية وان النسخة الاولى من كل كتابة كانت باللغة الايرانية ، ومن حسن الحظ ان اللغة الايرانية القديمة كانت معروفة لدى علماء اوربا في ذلك الوقت تقريباً بنتيجة الجهود التي بذلها (دوپرون) الذي درس اللغة الايرانية القديمة على يد (البارسيين) ، أي الزرادشتيين المقيمين في الهند ، وكان متهيئاً لترجمة (الافستا) (الابستاق) (وهو كتاب الزرادشتيين المقدس • وفي عام ١٨٠٢ ، وبفضل المعلومات الجديدة التي توفرت عن اللغة الفارسية القديمة ، وعن طريق الجهود البارعة التي بذلت للتأكد من معرفة أسماء الاعلام الاخمينية الموجودة في التوراة وفي الادبيات الكلاسيكية ، تمكن العالم (گروتفند) من حل رموز القسم الاكبر من الكتابات الايرانية الموجودة ضمن الكتابات المدونة باللغات الاخرى ، وتلى ذلك اضافات وتصويبات اخرى من قبل العديد من العلماء في الاعوام التالية ، بيد أن أهم الانجازات والجهود التي بذلت في هذا السبيل ، هي تلك التي قام بها (رولنصن) الباحث الانكليزي ، وكان هذا يعمل في الاستخبارات الانكليزية وسافر الى الهند وأقام فيها واتقن دراسة اللغة الفارسية ، وفي عام ١٨٣٥ نقل الى ايران حيث تسنى له دراسة الكتابات الثلاثية اللغة المنقوشة على صخرة (بهستون) وصمم على استنساخها •

انالكتابة المدونة باللغة الفارسية والمنقوشة علىهذه الصخرة تتألف من ٤١٤ سطراً ، والكتابة الثانية منها والتي اتضح الآن بأنها عيلامية ، تتألف من ٢٦٣ سطراً في حين ان الكتابة الثالثة منها وهي أكدية (وقد كانت معروفة في الادبيات الآشورية القديمة على انها آشورية أو بابلية) تتألف من ١١٢

سطراً • وفي خلال الفترة ما بين عامي ١٨٣٥ الى ١٨٣٢ ، تمكن (رولنصن) بعد بذل المزيد من الجهود من استنساخ ٢٠٠ سطر من الكتابة الفارسية ثم عاد مرة اخرى الى ايران في عام ١٨٤٤ وأكمل استنساخ الكتابة الفارسية والعيلامية ، اما الكتابة الاكدية فقد كانت منقوشة على الصخرة بوضع يصعب معه استنساخها ولم يتسن له ذلك الا فى عام ١٨٤٧ حيث تمكن من أخذ نسخة جبسية عن النص الاصلي •

ولغرض حل الرموز المسمارية الفارسية ، نشر (رولنصن) تقريره في صحيفة (الجمعية الملكية الآسيوية) وضمّن هذا التقرير نقل الحروف المسمارية الى حروف لاتينية مع ترجمة النص الفارسي لكتابة (بهستون) ونسخة من الكتابة المسمارية الاصلية •

وقبل أن يتم حل النص الفارسي بشكل حاسم بمدة طويلة اتجهت انظار الاوساط المعنية في اوربا الغربية بشغف بالغ الى النسخة الثالثة من كتابات (پرسيبولس) وسرعان ما اتضح بأنها نفس الكتابة واللغة المنقوشة على عدد كبير من الآجر وألواح الطين والاختام الطينية التي حصل عليها الاوربيون من المواقع الاثرية المعروفة في نينوى وبابل •

وفى عام ١٨٤٢ قام الفرنسيون بتنقيبات أثرية فى خرسباد برئاسة (بوتا) ، وفى عام ١٨٤٥ بدأ (لايارد) بالتنقيبات فى نمرود ونينوى وقد تم العثور على عدد كبير من الآثار المنقوشة بالكتابات فى ثلاثة مواقع وهكذا كانت أوربا فى عام ١٨٥٠ تمتلك مصادر من الكتابات حصلت على معظمها من المواقع الآشورية واتضح بأنها مشابهة تماما لنصوص النسخة الثالثة من كتابات (برسيبولس) و (بهستون) •

ان حل رموز هذه اللغة كان أمراً يسيراً اذ سرعان ما اتضح بأنها تقع ضمن مجموعة اللغات السامية ومع هذا فأن الامر لم يكن خالياً من

التعقيد حينما تبين بأن هذه اللغة تتألف من مقاطع لفظية بل ويمكن القول بأنها مدونة بكتابة رمزية بدلا من كونها قد دونت بحروف الفبائية •

ان الشخص الذى كان فى طليعة القائمين بعملية حل رموز اللغة الاكدية والبابلية ، كما اتضح آنذاك ، هو العالم الايرلندى (أدورد هنكس) غير أن (رولنصن) ايضا قد ساهم فى هذا المضمار على نطاق واسع ، ففي عام ١٨٥١ نشر (نقل الحروف)[٢] (Transliteration) والنص الاصلي وترجمة الكتابة الاكدية الموجودة ضمن كتابة (بهستون) الثلاثية وكانت ترجمته هي الوحيدة المطابقة للاصل •

أما النسخة الثانية من كتابات (بهستون) وهي العيلامية ، فقد بدأت تتضائل مصاعب حل رموزها نسبياً كلما ازداد التقدم فى حل رموز اللغة الاكدية لأن اللغة العيلامية كانت تعتمد فى كتابتها على المقاطع اللفظية وكذلك الامر بالنسبة لطريقة الكتابة باللغة الاكدية •

وثمة شخصيتان عملتا فى حقل حل رموز اللغة العيلامية ، هما (وسترگارد) و (نوريس) ففي مطلع عام ١٨٥٥ نشر (نوريس) ، وكان سكرتيرا للجمعية الآسيوية الملكية ، النص الكامل للنسخة الثانية من كتابات (بهستون) مع نقل حروفها وترجمتها ، ذلك النص الذى سبق ل (رولنصن) ان استنسخه وكان ما نشره (نوريس) هو المعول عليه فى هذا الشأن الى أن نشر (فايسباخ) فى عام ١٨٩٦ مقاله الموسوم ب (Achämenideninschriften Zweiter)

---

(٢) المقصود باصطلاح (نقل الحروف) (Transliteration) هو نقل أصوات أو حروف اللغة من النص الاصلي المدون على القطعة الاثرية الى الحروف اللاتينية أو حروف أية لغة اخرى تمهيدا للتثبت من محتوياتها وحل رموزها ثم ترجمتها وهي عملية شاقة لا يستطيع النهوض بأعباءها الا المختصين من علماء الآثار • (المترجم)

وكما سيتضح للقارىء ، لم يرد حتى ذلك الحين ، أي ذكر للسومريين • وفي عام ١٨٥٠ ، أخذ الشك يساور (هنكس) حول ما اذا كان الساميون في بلاد آشور وبابل هم الذين ابتكرو طريقة الكتابة المسمارية ، فالمعروف في اللغات السامية هو ان الحرف الساكن يعتبر عنصراً ثابتاً فيها في حين ان حرف العلة متغير الى أبعد حد ولهذا السبب يبدو انه ليس من الطبيعي الاعتقاد بأن الساميين هم الذين أوجدوا الطريقة المقطعية في الكتابة ، تلك الطريقة التي نجد فيها حرف العلة لا يتغير شأنه في ذلك شأن الحرف الساكن ، أضف الى ذلك ،لو أن الساميين هم الذين أوجدوا الكتابة لكان من الممكن ارجاع معاني المقاطع اللفظية الى كلمات سامية في حين ان الامر ليس كذلك لان جميع معاني المقاطع اللفظية ترجع الى معان واصول لا مرادف لها في اللغات السامية ، هكذا تسربت الشكوك الى ذهن (هنكس) فذهب الى القول بأن طريقة الكتابة المسمارية هي من ايجاد شعب لا سامي سبق الساميين في سكنى بلاد ما بين النهرين • وفي عام ١٨٥٥ نشر (رولنصن) في صحيفة الجمعية الملكية الآسيوية مقالا أعلن فيه عن اكتشافه لكتابات غير سامية وجدت منقوشة على الآجر والالواح في مواقع أثرية في جنوب بلاد بابل ، أي في (نفر) و (لارسا) و (ارك) ، وفي عام ١٨٥٦ أخذ على عاتقه دراسة هذه اللغة التي وصفها بأنها لغة ملصقة Agglunitative وضرب أول الامثلة على ذلك من كتابات ثنائية اللغة جلبت الى المتحف البريطاني من التنقيبات التي جرت في نينوى ، وغالبا ما كانت تسمى هذه اللغة بـ (الاسقوثية)[٣] (Scythetic) وحتى عرفت بـ (الاكدية)

(٣) نسبة الى الشعب الاسقوثي ، وهو من الشعوب البدوية القديمة التي كانت تسكن آسيا •

(المترجم)

أي نفس الاسم الذي يطلق الآن على اللسان الذي يتكلم به سكان بلاد آشور وبابل •

وفي عام ١٨٦٩ ، ظن العالم الفرنسي (اوبرت) ، اعتماداً على اللقب الملكي الموسوم بـ (ملك سومر وأكد) ، ظن بأن (أكد) تعني البلاد التي يسكنها الساميون ونسب اسم السومريين الى الشعب اللاسامي الذي ابتكر طريقة الكتابة المسمارية ،غير ان غالبية العلماء المختصين بالآشوريات لم تتفق مع (اوبرت) في هذا الرأي ، وبقي اسم الاكديين يطلق على السومريين لسنوات عديدة •

وبعد بضع عشرات السنين من اكتشاف اللغة السومرية ، كانت جميع المصادر المادية لحل رموزها ودراستها تستقى من الكتابات الثنائية اللغة والابجديات المقطعية التي كانت موجودة في ما يسمى بـ (مكتبة آشور بانيبال) التي اكتشفت في نينوى ، ويعود تاريخ هذه المصادر المادية الى القرن السابع قبل الميلاد ، أي ما يقرب من الف وخمسمائة سنة من اختفاء سومر من الوجود السياسي ، وتتألف هذه المصادر من مجموعة من الآجر والالواح والاختام من العهود السومرية وما بعد السومرية الموجودة في المتحف البريطاني •

وفي عام ١٨٧٧ ، بدأ أول تنقيب ناجح في أحد المواقع السومرية حينما نقب الفرنسيون باشراف (دي سارزك) في (تلو) موقع مدينة (لكش) القديمة وكانت أعمال التنقيب هذه تجرى في فترات متفاوتة وبتوقف طويل الامد حتى يومنا هذا ، وفي هذا الموقع تم اكتشاف أول الآثار السومرية المهمة وكتابات (أيشاكوس) أو امراء (لكش) ، بالاضافة الى أكثر من مئة الف لوح وكسرة تعود الى عهد ما قبل السرجونيين وعهد (اور) الثالث •

والتنقيب الثاني الذى جرى بنطاق واسع ، فى هذا الموقع السومري، قامت به جامعة بنسلفانيا بأيفادها أول بعثة استكشافية أثرية الى بلاد ما بين النهرين (العراق) •

وقد أثير بعد ذلك نقاش فى دوائر الجامعة الامريكية حول جـدوى ارســال بعثة أمريكية الى العراق حيث تمكن الانكليز والفرنسيون من العثور على آثار فريدة من نوعها ، وفى عام ١٨٨٧ ، تمكن (جون•دي• بيترس) استاذ اللغة العبرية فى جامعة بنسلفانيا من الحصول علىمساعدات مادية وأدبية من مختلف الشخصيات فى الجامعة وخارجها لتهيئـة أول بعثة تنقيبية والانفاق عليها برعاية جامعة بنسلفانيا ، واختيرت (نفر) ، وهى أكبر وأوسع التلال الموجودة فى العراق ، كمركز للتنقيبات وقامت هذه البعثة بأربع حملات تنقيبية شاقة وطويلة الامد استمرت خلال الاعوام ١٨٨٩ – ١٨٩٠ و١٨٩٠ – ١٨٩١ و١٨٩٣ – ١٨٩٦ و١٨٩٦ – ١٩٠٠ •

كانت المصاعب التى واجهت هذه البعثة شديدة ومثبطة ، فقد توفي أحد علمائها الشباب ، وكان من النادر ، خلال هذه الاعوام ، ألا يصاب أعضاء هذه البعثة بأمراض ، كما واجهت البعثة الشيء الكثير من المتاعب من بعض أفراد القبائل وكانت هذه المتاعب تتطور فى بعض الاحيان الى حالات تنذر بالمخاطر ، ولكن على الرغم من هذه المصاعب فقد استمرت أعمال التنقيب ، وفى خلال أربع حملات تنقيبية استمرت مدة تربو على عشرة أعوام ، حصلت البعثة على نتائج بالغـة الاهميـة كانت فى بعض الاحيان فريدة من نوعها وذلك فى حقل الآثار المدونة على الاقل •

لقد تمكنت بعثة (نفر) من اكتشاف ما يقرب من ثلاثين الف لوح وكسرة خلال تلك الحملات الاربع ، ومن أروع هذه المكتشفـات هى الالواح المنقوشة باللغة السومرية والتى يرجع تاريخها الى الفترة التي تخللت النصف الثاني من الالف الثالث الى النصف الاول من الالف الثاني

قبل الميلاد • وكانت هذه الالواح غنية فى محتوياتها مختلفة فى أنواعها والجزء الاكبر منها يحمل طابعا اقتصاديا ، لانها كانت تحتوي على العقود وفواتير البيع والكمبيالات والوصولات والقوائم والحسابات والوصايا وقرارات المحاكم وغيرها من الوثائق القانونية والادارية ، ومن هذه الالواح عدد غير قليل كان يحتوي على مواد معجمية ، أي قاموس سومري ومواد تتعلق بقواعد الصرف والنحو ، وهذه الاخيرة كانت ذات قيمة كبيرة جدا بالنسبة لدراستنا للغة السومرية لانها جمعت من قبل الكتاب القدامى أنفسهم •

غير ان الالواح المهمة جدا على وجه التخصيص ، هى مجموعة كبيرة من الالواح الادبية يعود تاريخها الى ما يقرب من ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد دونت عليها التآليف الادبية السومرية التى تضم الملاحم والاساطير والمراثي والامثال والحكم •

أما التنقيبات الاخرى التي جرت بعد تنقيبات (نفر) فهي تلك التى قام بها الالمان فى (فارا) (مدينة الفيضان القديمة شوروباك) وذلك فى عام ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ ، ثم تلك التي قامت بها جامعة شيكاغو فى (بسمايا) (مدينة اداب القديمة) وذلك فى عام ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ والتي عثر خلالها على مواد سومرية معجمية واقتصادية يرجع تاريخها الى فترات (ما قبل السرجونيين والسرجونيين) وذلك فى الالف الثالث قبل الميلاد •

وبدأ الفرنسيون بالتنقيبات فى (كيش) فى عام ١٩١١ واستمرت تحت اشراف انكليزي أمريكي مشترك من عـام ١٩٢٢ الى ١٩٣٠ ، وأثمرت اكتشاف مواد مدونة مهمة •

وفى (جمدة نصر) التي لا تبعد عن (كيش) تم اكتشاف مجموعة كبيرة من الالواح التى تتضمن ما يشبه الكتابة الصورية ويعود تاريخها الى أوائل بداية الكتابة السومرية •

وكذلك جرى تنقيب فى (اور) وهي الموقع الاثري الشهير من قبل بعثة مشتركة من المتحف البريطاني ومتحف الجامعة خلال الاعوام ١٩١٩ الى ١٩٣٣ حيث عثر على العديد من الكتابات التاريخية والاقتصادية وبعض المواد الادبية •

وفى (أسمر) – (اشمون القديمة) و (خفاجة) شرقي دجلة جرت تنقيبات من قبل المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو فى السنوات الاخرى وأسفرت عن اكتشاف عدد كبير من الالواح الاقتصادية يعود تاريخها الى عهود السرجونيين واور الثالث أى أواخر الالف الثالث قبل الميلاد •

وبعد ذلك قام الالمان بتنقيبات فى (ارك) منذ عام ١٩٢٨ حتى اندلاع الحرب الاخيرة حيث تم العثور على مجموعة كبيرة من الالواح التى تتضمن ما يشبه الكتابة الصورية وهى أقدم من تلك التى عثر عليها فى (جمدة نصر) •

ان هذه النظرة الشاملة الموجزة ، تزودنا بفكرة عامة عن المدونات الاثرية السومرية التى اكتشفت وظهرت للوجود بنتيجة جهود بعثات مشتركة ، يضاف اليها آلاف الالواح التى عثر عليها المواطنون العرب فى تلول سومر وخاصة فى المواقع القديمة فى (لارسا) و (سيبار) و (اما) ولهذا فمن الصعب تقدير عدد الالواح والكسر السومرية الموجودة فى المتاحف وضمن المجموعات الخاصة ومن الممكن تقديرها بربع مليون قطعة وهو تقدير مبني على الحذر •

ترى ما هى طبيعة هذا العدد الكبير المتراكم من المواد المنقوشة بالكتابة السومرية ؟ مما يهم ذكره قبل كل شيء هو ان أكثر من خمسة وتسعين بالمئة من مجموع هذه الالواح السومرية هى ذات طابع اقتصادي أى انها تحتوي على كمبيالات وعقود بيع ومقايضة واتفاقيات العمل والمشاركة والوصايا وقوائم أجور العمال والرسائل •••• الخ وبما أن

هذه الوثائق جاءت على غرار الوثائق الاكدية ذات الطابع نفسه فان ترجمتها ، باستثناء بعض الحالات الكثيرة التعقيد ليست صعبة جدا •

لقد زودتنا محتويات هذه الالواح بوصف دقيق وتام نسبيا لكيان الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند السومريين في الالف الثالث قبل الميلاد يضاف الى ذلك أن الكمية الكبيرة من المواد التي تتعلق باصول الكلمات والتسميات التي وجدت في هذه الوثائق الاقتصادية تعتبر مصدرا غنياً لدراسة تصنيف الشعوب في بلاد سومر وما يحيطها خلال هذه الفترة •

ومن ضمن الالواح السومرية المنقوشة بالكتابات والتي لا تحمل طابعا اقتصاديا ، مجموعة تضم ما يقرب من أربعمائة قطعة مكتوبة على البنايات والادوات النذرية والاعمدة والنصب التذكارية والآجر ••• الخ ومن ضمن هذه مجموعة صغيرة نسبيا من الكتابات استقينا منها التاريخ السياسي لسومر •

ان ترجمة هذه الكتابات أيضا لا يعتبر عملا شاقا جدا ، لان محتوياتها في الغالب تكون مختصرة ومبسطة يضاف الى ذلك ان نمط الكتابة النذرية عند السومريين كان متبعا بنطاق واسع في الكتابة النذرية الاكدية وكذلك الكتابات الثنائية اللغة التي كانت لها فائدة كبيرة ، وعلى العموم ، باستثناء الحالات المعقدة ، فان ترجمة المواد التاريخية السومرية سهلة نسبياً •

وبالاضافة الى المواد الاقتصادية والتاريخية التى مر ذكرها ، هناك مختلف أنواع المجموعات المهمة من الالواح التى دونت عليها نصوص معجمية وحسابية أو التى دونت عليها التعويذات ، غير انأهم هذه المواد وأخطرها شأنا في دراسة اللغة السومرية ، من الناحية الروحية ، هى مجموعة الالواح الادبية التى يعود تاريخها الى ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد والتى دونت عليها ملاحم السومريين وأساطيرهم وتراتيلهم ومراثيهم وأمثالهم ومأثوراتهم ، ومن الجدير بالذكر هو انه على الرغم من كثرة

هذه المواد الكتابية السومرية المكتشفة حتى الآن فليس هنـاك سوى ثلاثة آلاف لوح وكسرة تؤلف ما لا يزيد على واحد بالمئة من مجموع هـــذه المواد كتبت عليها التآليف الادبيـة السومرية ومن بين هذه الثلاثة آلاف قطعة ، هناك ما يقرب من تسعمائة قطعة موزعة على الوجه الآتي :

١ ـ ثلثمائة كسرة صغيرة جـداً اكتشفها الفرنسيون فى (كيش) ونشر محتوياتها (دي گنولاك) فى عام ١٩٢٤ ٠

٢ ـ ما يقرب من مئتي لوح وكسرة اشتراها متحف برلين من تجار الآثار ونشر محتوياتها (هاينرش تسمرن) فى عام ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ٠

٣ ـ ما يقرب من المئة منها حصل عليها متحف اللوڤر من تجار الآثار ونشر محتوياتها (دي گنولاك) فى عام ١٩٣٠ ٠

٤ ـ أقل من مئة قطعة وجدت طريقها الى المتحف البريطاني ومتحف (اشموليان) ونشر محتوياتها كل من (كنگ) و (لانگدون) و (گاد) خلال بضع عشرات من السنين ٠

٥ ـ وينبغي أن نضيف الى هذه الارقـام بتحفـظ رقمـــا آخـرا (مئتان ؟) يمثل ما عثر عليه من القطع الاثرية فى (اور) والتى ستنشر محتوياتها من قبل (گاد) من المتحف البريطاني فى المستقبل القريب ٠

أما المتبقي من هذه الالواح والذى يبلغ (٢١٠٠) لوح وكسرة ، وهو الجزء الاكبر من الواحنا السومرية فقد اكتشف من قبل جامعـــة بنسلفانيا فى (نفر) منذ خمسين سنة ٠

ومن هذا العدد قرابة مئة قطعة موجودة الآن فى جامعة (ينا) فى المانيا وما يقرب من ثمنمائة قطعة فى متحف الشرق القديم فى اسطمبول ، وما يقرب من الف ومئة قطعـة فى متحف الجامعـــة فى فيلادلفيـــا ٠ وليس من المبالغـــة بأن الفضل الكبـير فى ترميم وبعث التآليف الادبيـة

السومرية التى كتبت منذ نحو ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد ، يعود الى بعثة جامعة
پنسلفانيا فى (نفر) •

ومن الجدير بالذكر ان هذه المبتكرات الادبية السومرية تعتبر على
جانب كبير من الاهمية ليس من ناحية صيغتها الاخاذة وحسب بل انهـــا
فريدة من نوعها أيضا ذلك لاننا قد حصلنا عليها بالنص الذي كتبت به منذ
اربعة آلاف سنة ولم يطرأ عليها أي تعديل أو تحوير من قبل اولئك المنقحين
المتأخرين الذين يسعون لتحقيق ما يصبون اليه من أهداف وغايات •

وهكذا تعتبر تآليفنا الادبية السومرية أقدم ما اكتشف حتى الآن من
نتاج أدبي جدير بالتقدير لأهميته البالغة •

لنبحث الآن بأيجاز طبيعة مضمون الادب السومري ، وقد سبق لنا
القول بأن مواضيعه تتضمن الملاحم والاساطير والتراتيل والمراثي والحكم
والامثال • ومن قصص الملاحم هناك تسع قصص على الاقل يمكن اصلاح
جانب كبير منها ومن ضمنها ست ملاحم وضعت لاحياء ذكرى الاعيـــاد
والمآثر البطولية للابطال السومريين العظام (انمرگار) و (لوگال بندا)
وعلى الاخص (گلگامش) جد البطل الاغريقي (هرقل) •

لقد عاش هؤلاء الابطال السومريون الثلاثة ، فى أغلب الظن ، فى
نهاية الالف الرابع قبل الميلاد ، أى منذ خمسة آلاف سنة بالضبط ، أمـا
الملاحم الثلاث الاخرى فهي تدور حول (هلاك كور) ذلك المخلوق الجبار
الذى يشبه الى حد ما الآلهة البابلية (تيامات) و (اللوياثان) عند العبرانيين
وربما (طوفون) الاغريقي •

ان الاساطير ومضامينها تمثل بشكل واضح وجلي المصدر الاول من
مصادرنا المادية فى بحث الاساطير السومرية وسنتناول بحثها بتفاصيل وافية
فى الفصول القادمة • أما أساطير (تموز) التى تدور حول موت الالهـة

وبعثها فسنرجيء بحثها لان مضمونها لا يزال على جانب كبير من الغموض بحيث يصعب ترجمتها بأمانة ودقة •

أما التراتيل فهي ملكية ودينية والنوع الاخير منها يشمل أناشيد الصلاة وتمجيد الآلهة التي لها مكانة مرموقة في مجموعة الآلهة اسومرية في حين ان التراتيل الملكية كثيرة جداً في أنواعها واطرزتها ومضامينها وتتألف من المديح والاطراء الشخصي لملوك السلالة الثالثة في (اور) ولملوك سلالة (أيسين) التي تلتها وهذه التراتيل تتضمن حقائق تاريخية بالغة الاهمية ذلك لانها تيسر لنا معرفة التاريخ الحقيقي لتأليف الكثير من الآداب السومرية ، فالسلالة الثالثة حكمت في(اور) خلال القرنين الأخيرين من الالف الثالث قبل الميلاد وانتهى حكمها باندحار وأسر آخر ملوكها (أيبي – سن) في حوالي سنة ٢٠٥٠ قبل الميلاد وبذلك انتهى دور سومر كقوة سياسية ، أما الذين جاءوا بعدها فهم ملوك اسرة (أيسين) وهؤلاء كانوا من الساميين الا ان تراتيلهم كتراتيل أسلافهم مؤلفة ومكتوبة باللغة السومرية التي لم يتوقف استعمالها باعتبارها اللغة الأدبية والدينية للمنتصرين •

أما المراثي فهي نوع من التآليف التراجيدية طورها السومريون احياءً لذكرى مدنهم التي غالبا ما كانت تتعرض للتخريب من قبل الشعوب البربرية المحيطة بهم ، وتعتبر هذه التآليف المصدر القديم للتآليف التوراتية مثل (سفر المراثي) •

وقد تم اصلاح واحياء ونشر احدى القصائد المطولة التي تتألف من أربعمائة سطر وقد نظمت كمرثية لمدينة (اور) المخربة ، وثمة تأليف مماثل آخر وضع بمناسبة خراب مدينة (نفر) والذي لا يزال العمل مستمراً لاعادة تركيبه واحياءه •

وقد أصبح الآن في الامكان اصلاح اجزاء كبيرة من مرثية نظمت بمناسبة خراب سومر بأجمعها ، وهناك مرثية اخرى يمكن أن نصفها في

الوقت الحاضر بالقول بأنها من طراز (نواح الام) ، وأخيراً لدينا الجزء الاكبر من أحد التآليف في رثاء مدينة (اگادة) بسبب كارثة الت بهـا ابان حكم (ناراسن) الذى حكم فى أوائل النصف الثانى من الالف الثالث قبل الميلاد .

ونتناول الآن بحث تآليف الحكمة عند السومريين وهى تمثل النماذج الاصلية لادب الحكمة الذى ساد جميع أرجاء الشرق الادنى ومنه نماذج الامثال التى وردت فى التوراة فى (سفر الامثال) . ويتألف أدب الامثال السومري من عدد كبير من الامثال البليغة الموجزة والاقوال المأثورة وعدد من القصص الخرافية مثـل (الطير والسمكة) و (الشـجرة والقصـبة) و (الفأس والمحراث) و (الفضة والنحاس) اضافة الى مجموعة اخرى من تآليف المواعظ المطولة والمختصرة وتآليف اخرى تتضمن طريقة تعليم فن الكتابة وفوائدها .

وفى امكاننا الحصول على فكرة وافية عن تآليف الادب السومري ومدى اتساع محتوياتـه وذلك من خلال محتويات احدى اللوحـات التى كانت غير معروفة والموجودة ضمن مجموعة (نفر) فى متحف الجامعة وقد اتيحت لي الفرصة للوقوف على ما تضمنه هذا اللوح وحل رمـوزه فى السنة الماضية فاتضح بأنه فهرست أدبي ، أى انه يتضمـن تسجيـل المؤلفات السومرية حسب عناوينها ، وقد عاش الكاتب الذى وضع هــذا الفهرست فى حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، أي ان هذا الفهرست كان معاصرا لتلك التآليف .

أما غرض الكاتب الذى وضع هذا الفهرست فهو بلا شك غرض عملي كما هو واضح فى يومنا هذا ، فمنذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد كان فى التداول فى سومر عدد ضخم من التآليف من مختلف الانواع والحجوم كتبت على الواح بجميع الحجوم والابعاد وكان ينبغي تسلمها وحفظهـا

والعناية بها وكان البعض من هذه الالواح مكرساً لخدمة المعبد (بيت الالواح) لهذا وجد الكاتب انه من المفيد تأشير وتسجيل هذه المجموعات من التآليف الادبية في سجل معين ليكون مرجعاً مهماً عند خزن هذه الالواح وحفظها .

ان اللوح الذي تضمن هذا الفهرست هو بحالة ممتازة وصغير جداً وتتألف أبعاده من ٢½ انج × ١½ انج وقد قسم الكاتب كل جانب من اللوح الى عمودين وسجل عناوين اثنين وستين مؤلفاً سومرياً .

وسجل أول أربعين عنواناً منها بخط دقيق في أربعة حقول كل حقل مقسم الى عشرة أعمدة ووضع خطاً مستقيماً بين كل حقل أي انه وضع خطا مستقيما بين الارقام ١٠ و١١ ، ٢٠ و٢١ ، ٣٠ و٣١ ، ٤٠ و٤١ . أما بقية العناوين التي يبلغ عددها ٢٢ عنوانا فقد قسمها الى مجموعتين غير متساويتين الاولى تضم ٩ عناوين والثانية ١٣ عنوانا ومن الطريف جداً ان نذكر بأن ٢١ مؤلفاً على الاقل من مجموعة المؤلفات التي وردت عناوينها في هذا الفهرست هي من المؤلفات التي باشرنا في اصلاح الجزء الاكبر منها لمعرفة محتواها الحقيقي .

وليس ثمة حاجة الى القول بأنه من المحتمل أن نحصل على النص الحقيقي لعدد آخر من التآليف المدرجة عناوينها في فهرست (نفر) هذا .

وحيث أن عنوان أي مؤلف أدبي سومري يتألف عادة من القسم الاول من السطر الاول منه فليس هناك مجال لمعرفة عناوين تلك المؤلفات التي نعرف القسم الاكبر من نصها في حين ان سطورها الاولى مكسورة .

ولا حاجة الى القول أيضا بأن الاثنين وستين عنواناً المسجلة في فهرستنا لا تشمل جميع التآليف المتداولة في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد اذ لدينا جميع الدلائل التي تشير الى ان هذا العدد قابل للزيادة الى المئات ، ولو اجريت تنقيبات عميقة الغور في (اريدو) القديمة في جنوب

سومر (مركز عبادة انكي ـ آله الحكمة السومري) لحصلنا على كـل ما يحملنا على الاعتقاد بأن عدد المخزون من تآليفنا السومرية سوف يزداد الى حـد كبير •

بعد ان اطلعنا على مدى اتساع الادب السومري ومضمونه ، نعـود الى بحث معرفة تاريخه لنقف على ما يبرر الايضاحات التي اوردناها فـي الصفحات السابقة والمتمثلة بقولنا « ان الادب السومري هو اقدم ما دون من نتاج ادبي جدير بالتقدير لاهميته البالغة » •

ان الكتابة المدونة على هذه الالواح والمظاهر الخاصة التي تتميز بها ، تمكننا من القول بأنها قد دونت في اوائل عهود ما بعد السومريين وهـي الفترة التي تلي مباشرة تاريخ انهيار الاسرة الثالثة في (اور) ، وكمجرد اشارة عابرة ، يمكننا القول بأن كتابة هذه الالواح كان في حوالي ١٧٥٠ قبل الميلاد وذلك لان الكثير من محتوياتها ، كما يستدل من المجموعـة الكبيرة من التراتيل الخاصة بملوك الاسرة الثالثة في (اور) ، قد كتبت في ذلك العهد السومري الحديث والذي دام ما يقرب من سنة ٢١٥٠ الى ٢٠٥٠ قبل الميلاد وبالاضافة الى ان تحليل مضمون التراتيل المدونة عـلى ما يدعى بـ (اختام گوديا) والتي يرجع تاريخها الى سنة ٢٢٥٠ قبل الميلاد وكذلك تحليل مضمون الاسطورة المدونة على ختم قديم من (نفر) والذي كان موضوع تحقيق (جورج بارتون) في مقال نشره واوضح فيه بأن الكتابة المدونة عليه تدل على انه اقدم بكثير من (اختام گوديا) ، كل ذلك يـدل بوضوح على ان عدداً غير قليل من التراتيل والاساطير قد كتبت في بضعة قرون أقدم •

واخيراً نجد في تحليل التصورات التي تعكسها الكتابات الموجودة على البنايات والمعابد في العهد السومري الكلاسيكي والتي يرجع تاريخهـا تقريباً الى ٢٦٠٠ ـ ٢٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، نجد في هذا التحليل ما يحملنا

على التسليم بنفس النتيجة ، وخلاصة القول ، لدينا الكثير من الشواهد والمبررات التى تحمنا على القول بأنه رغم ان جميع الواحنا السومرية الادبية مؤرخة فى الواقع فى حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، الا ان قسماً كبيراً من الادب السومرى المدون كان قد ابتكر وتطور فى النصف الاخير من الالف الثالث قبل الميلاد •

اما سبب قلة المواد الادبية التى تنحدر من العهود القديمة والمكتشفة حتى الآن فيعود الى مجرد صدف اركيولوجية وكمثل على ذلك ، لولا بعثة (نفر) وتنقيباتها لكان لدينا النزر اليسير من المواد السومرية الادبية المدونة فى اوائل ما بعد العهد السومرى •

ولنقارن الآن هذا التاريخ مع تواريخ الآداب القديمة المختلفة الاخرى المعروفة لدينا فى الوقت الحاضر ، ففى مصر مثلا ، نتوقع وجود ادب قديم مدون يتناسب مع تطورها الثقافى الكبير ، والحقيقة ان الكتابات الموجودة على الاهرام تعتبر من الدلائل الثابتة على ان للمصريين ، فى جميع الاحتمالات ، ادباً مدوناً ومتطوراً جداً فى الالف الثالث قبل الميلاد ولكن لسوء الحظ ، ان معظم التآليف المصرية القديمة كانت مدونة على البردي وهي مادة سريعة العطب ، ومع هذا فلن نعدم الامل فى امكان اصلاح ما يمكن اصلاحه من المدونات الادبية المصرية القديمة وتقديم نموذج مناسب واف عن الادب المصرى فى ذلك العهد القديم •

وكذلك الامر بالنسبة لآداب الكنعانيين القدامى والتى لم تكن معروفة حتى الايام الاخيرة ولكن الالواح التى اكتشفها الفرنسيون فى شمال سوريا (رأس الشمرة)(٤) خلال الاعوام العشرة الماضية ، اظهرت للوجود

---

(٤) وهى المدينة الكنعانية المعروفة باسم (اوغاريت) التى تقع بالقرب من اللاذقية • المترجم

نماذج مدونة من آداب الكنعانيين ، ومع ان عدد هذه الالواح يعتبر قليلا نسبياً الا انها تنهض دليلا على ان الكنعانيين كان لهم في زمن من الازمان ادب متطور جداً يعود تاريخه الى ما يقرب من ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، اى ان هذه الآداب قد دونت بعد ما يقرب من خمسمائة سنة من تدوين الواحنا السومرية •

اما الادب السامي المتمثل في (ملحمة الخليقة) و (وملحمة كلكامش) •••• الخ فيعود تاريخه الى عهود طويلة بعد تدوين الآدب السومري ولكنه يتضمن الكثير مما اقتبس عن الأدب السومري مباشرة • ولننتقل الآن الى الآداب القديمة التي كان لها تأثير كبير على أوسع المجالات الروحية في حضارتنا ونعني بها الآداب التوراتية التي تؤلف المبتكرات الادبية عند العبرانيين وكذلك الالياذة والاوديسية وهما الملحمتان الزاخرتان بالقصص الاسطورية الملحمية الاغريقية ، و (الريكفيدا) التي تمثل النتاج الادبي عند قدامى الهنود و (الافستا) (الابستاق) التى تؤلف النتاج الادبي عند الايرانيين القدامى ، كل هذه المجموعات والتآليف الادبية لم تكتب في صيغتها الحالية قبل النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد ، في حين ان ادبنا السومري المدون على الواح يعود تاريخه الى ما يقرب من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد اى انه اقدم من تلك الآداب بما يزيد على الفي سنة ، يضاف الى ذلك فرق حيوى آخر وهو ان نصوص التوراة والالياذة والاوديسية والريكفيدا والافستا (الابستاق) كما هي بأشكالها الحالية قد طرأ عليها التعديل والتحوير والحذف والتنقيح من قبل جامعي هذه المواد لشتى الاغراض والدوافع ووجهات النظر ولم يكن ادبنا السومرى كذلك اذ انه لا يزال محتفظا بنصه الاصلي الذى كتبه الكتاب القدامى منذ اربعة آلاف سنة دون ما تحوير او حذف او تعديل ولهذا السبب نستطيع القول جازمين بأن القيمة الاساسية للأدبالسومري وأهميته الحقيقية بالنسبة

للدراسات الانسانية المتصلة به قد اصبحت واضحة وجلية •

ولكن لماذا بقى الكثير من الآداب السومرية غير معروف ؟ ولماذا لم يصبح فى متناول العلماء والناس الآخرين ؟ ما الذى عرقل عملية حل رموز الالواح الادبية السومرية ؟ ولماذا كانت عملية اصلاح هذه الالواح وترجمة مضامينها تسير ببطء ؟ ان العوامل التي أدت الى هذا الوضع السيء هي ذات شقين اولهما لغوى ويتمثل بالصعوبات النحوية والمفردات اللغوية الخاصة باللغة السومرية وثانيهما يتعلق بالنصوص والمشاكل الناجمة عن الخصائص الطبيعية لمصادرنا المادية :

١ ـ الصعوبات النحوية :ـ ان اللغـــة السومرية هي ليست لغـــة سامية ولا هندية اوربية بل هى من فصيلـــة اللغات المعروفـــة بـ (اللغـات الملصقـــة) Agglunitative المتمثلة باللغـات التركيـــة والهنغاريـــة والفنلندية ولكن ليس فى هذه اللغات ، على كل حال ، ما يدل على صلـــة نسب وثيقة باللغة السومرية التى تعتبر فريدة من نوعها وليس لها اية صلة بأية لغة معروفة حية او ميتة ، ولهذا فأن حل رموزها كان يعتبر ضرباً من المستحيلات ، ولكن لحسن الحظ ، وكما سبق ان قلنـــا ، ان المتحضـــرين الساميين على سومر لم يتخذوا الخط السومرى وسيلة للتعبير عن لسانهم وحسب بل حافظوا على اللغة السومرية بأعتبارها لغة دين وآداب ونتيجـــة لذلك كانت مدارس تعليم الكتابة فى بابل وآشور قد اعتبرت دراسة اللغة السومرية من المعارف الاساسية التى ينبغى تعلمها ولهذا جمعوا ما يمكن تسميته بـ (كتب التهجى الثنائية اللغة) او المعاجم التى تضم الكلمات او الجمل السومرية مترجمة الى لغتهم الاكدية وبالاضافة الى ذلك ، فقـــد ابتكروا طريقة الكتابة بين السطور (Interlinears) للتأليف السومرية وفى هذه الطريقة نجد ان كل سطر من الكتابة السومرية يليه سطر هـــو الترجمة الاكدية للسطر السومرى الذى يسبقه وحيث ان اللغة الاكديـــة

هى من اللغات السامية التى لها علاقة لغوية بالعديد من اللغات المعروفة وحيث ان رموز هذه اللغة قد حلت منذ زمن طويل نسبياً لهذا فأن هذه الكتابات الثنائية اللغة اصبحت هى الاساس المعول عليه فى حل رموز اللغة السومرية وذلك عن طريق مقارنة الكلمة او الجملة الاكدية المعروفة لدينا مع مثيلتها فى اللغة السومرية وبذلك اصبح فى الامكان معرفة معانى تلك الكلمات او الجمل السومرية ، وفى الوقت الذى يبدو فيه حل الرموز السومرية كما اسلفنا ، من الامور السهلة نظريا ، نجد ان الممارسة الفعلية لهذه العملية ، اى حل رموز اللغة السومرية من النصوص الثنائية اللغة ، قد ادى الى الشيء الكثير من سوء الفهم من ناحية القواعد النحوية والمفردات اللغوية لان هاتين اللغتين ، اى الاكدية والسومرية ، تبتعد كل منها عن الاخرى من حيث البناء ومن حيث المفردات اللغوية كما هو الامر بين لغتين مختلفتين •

وغالباً ما ادى التماثل الظاهرى فى المعاجم القديمة والكتابات الثنائية (اى الكتابة بلغتين بين سطر وآخر) ، غالباً ما ادى ذلك الى تضليل وسوء فهم خاصة اذا علمنا بأن ذلك العدد الكبير من الرموز التى تم حلها فى السابق بشيء من عدم المعرفة ، ادى الى استنتاجات سطحية فآل الامر الى تسرب الشيء الكثير من الاخطاء الى قواعد اللغة السومرية ومفرداتها اللغوية ، وهكذا نجد أن بعض العلماء الذين قدمت لهم الواح سومرية مدونة باللغة السومرية فقط كانت جهودهم فى معرفة محتوياتها غير مثمرة بل ان المحاولات التي بذلت فى حالات كثيرة لترجمة هذه النصوص قد باءت جميعها بالفشل •

وقد تم فى غضون العشرين سنة الاخيرة وضع قواعد النحو للغة

السومرية على أسس علمية بنتيجة الجهود التي بذلها (آرنو پوبيل)(٥) في كتابه الموسوم بـ (اصول قواعد النحو السومرى) ، ولكن المشـــاكل التى تجابه مفردات اللغة السومرية لا تزال باقية ومتعددة وبعيدة عن الحل.

٢ ــ الصعوبات المتمثلة فى النصوص :ــ اما المشاكل والصعوبات التى تعترض سبيل الكتابات الثنائية اللغة والتى غالباً ما نواجهها اثناء عملية اعادة تركيب الواحنا الآدبية ، فهى ليست من النوع الذى لا يمكن تذليله ، بل ان العقبة الكؤد هى التى تتصل بالنصوص فالالواح غير المشوية جيـداً وعلى الاخص تلك التى دونت عليها التآليف السومرية ، يندر ان نحصل عليها من الارض بشكل سليم بل انها تكون عادة بشـكل كسـرات وكثيراً ما تكون مهشمة وبقطع صغيرة ، ولكن تذليل هــذه الصعوبات يتمثل فى حقيقة سارة ، وهى ان المدونين القدامى كانوا يكتبون اكثر من نسخة واحدة لاى مؤلف سومرى ، فالثلمة التى قد نجدها فـى بعض الالـواح غالبـاً ما نستطيع ملأها من النسخ الاخرى التى قد تكون هى الاخـرى بشـكل كسرات ، وكـذلك الامـر بالنسبة لـ (هبوط انانا الى العـالم الاسفل) حيث تمكنت من الاسـتفادة من اربعـة عشر كسرة مختلفـة لاعـادة تركيب نصها الاصلى ، كما ان الكتاب الذى نشر مؤخراً بعنوان (مرثيـة خراب مدينة اور) كان نصه الذى اعيد تركيبه يتألف من اثنين وعشرين كسرة مختلفة ، وحينما اعدت تركيب نص (اعياد ومآثر نينورتا) استفدت من ٢٩ كسرة مختلفة .

وللحصول على اتم فائدة من النسخ المطابقة للاصل ، وما يتطلب ذلك من تصليح واعادة تركيب ، لابد من الحصول على اكثر ما يمكن من المصادر

---

(٥) Arno Pobel ــ هو أحـد أساتذة المعهـد الشرقي فى جامعة شيكاغو ومن كبار الباحثين فى حقل الدراسات السومرية .
المترجم

المادية التي تم استنساخها واصبحت في متناول اليد •

أما ألواح (نفر) الادبيـة التي اكتشفت من قبل جامعـة بنسلفانيـا والموجودة حاليا في اسطمبول وفيلادلفيا والتي يبلغ عددها الالفين فـلم يستنسخ وينشر منها سوى خمسمائة قطعة • وهناك ما يقرب من سبعمائة قطعة موجودة في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر ومتحف برلين ومتحف اشموليان ، سبق ان تم استنساخها ونشرها في حين ان بعض النصوص لم تظهر للوجود الا في الايام الاخيرة نسبيا •

وفي مثل هذه الاحوال السالفة الذكر ، يبدو واضحا ، انه من غير الممكن اعادة تصليح تآليفنا السومرية وبعثها وترجمتها بصورة علمية وعلى نطاق واسع •

لقد جابهت هذه الصعوبات والورطات بنفسي في عام ١٩٣٣ أي منذ عشرة اعوام تقريبا [٦] حينما كنت اعمل في المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بوصفي عضوا في الجماعة التي اوكل لها وضع المعجم الآشوري ، فقـد توفي في تلك السنة العالم (ادورد كييرا) الذي استنسخ بمفرده من مواد (نفر) الادبيـة ما يزيد على ما استنسخه الآخرون جميعهم ، وبقي مـدة طويلة يعمل كأستاذ في جامعة بنسلفانيا وكرس الكثير من اوقاته وجهـده طيلة مدة بقائه هناك لاستنساخ ما يزيد على مئتي كسرة ولوح ادبي كـانت موجودة في متحف الجامعة ، ثم دعي من قبل المعهد الشرقي في جامعـة شيكاغو حيث عهـدت اليـه رئاسة مشروع وضـع المعجـم الآشـوري ، فأخذ معه تلك المواد المستنسخة التي تعهد المعهد الشرقي بنشـرها فـي مجلدين ، وحينما توفي (كييرا) عهدت اليّ دائرة النشر بتهيئة نشر هذين

---

(٦) ان الطبعة الاولى من الكتاب الذي بين يدي القاريء ، كانت قد صدرت في عـام ١٩٤٤ • المترجم

المجلدين ، وبالنظر لجسامة هذه المهمة التي اوكلت الي فقد أيقنت بأن جميع الجهود لترجمة هذه المواد ستكون غير مثمرة علميا ما لم تصبح اكثر المواد غير المستنسخة وغير المنشورة والموجودة فى اسطمبول وفيلادلفيا فى متناول اليد .

ومنذ ذلك الحين حتى الآن كانت جهودى منصبة لاعادة تركيب وترجمة التآليف السومرية ، وبعد ان كرست سنوات لدراسة طبيعة تركيب اللغة السومرية دراسة عميقة ، سافرت الى اسطمبول فى عام ١٩٣٧ وامضيت عشرين شهرا فى متحف الشرق القديم حيث تمكنت من استنساخ مئة وسبعين لوحا وكسرة ادبية سومرية ، ولكن لسوء الحظ ما زال هناك فى متحف اسطمبول قرابة خمسمائة قطعة غير مستنسخة وبعيدة عن متناول اليد .

وبعد عودتى الى الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٩ كرست جميع اوقاتى وجهودى من اجل الالواح والكسر الادبية السومرية ضمن مجموعة (نفر) فى متحف جامعتنا واسفرت جهودى عن تمكنى من الوقوف على حقيقة ما يقرب من ستمائة وخمس وسبعين قطعة ادبية سومرية من ضمن هذه المجموعة لم يسبق استنساخها ونشرها ، وهذا العدد يقرب ن ضعف جميع المواد الادبية التى استنسخت ونشرت من قبل العديد من العلماء المشتغلين فى المتحف خلال الاربعين سنة الماضية .

لقد دونت الملاحم والاساطير على خمس وسبعين قطعة من هذه الستمائة والخمسين قطعة التى ذكرتها آنفا ، وثلثمائة اخرى دونت عليها التراتيل فى حين ان اجزاء من المراثي دونت على خمسين قطعة ودونت الامثال والحكم على المئة والخمسين قطعة الباقية .

لقد كانت جهودى خلال العامين المنصرمين مركزة الى حد كبير فى الملاحم والاساطير ، حيث تسنى لي الاستفادة من جميع المواد المنشورة

المتيسرة ومن عدد آخر من المواد غير المنشورة والتى استنسختها من متحف الشرق القديم فى اسطمبول وجميع المواد غير المنشورة التى تتصل بهـــذا الموضوع والموجودة فى متحف الجامعة فى فيلادلفيا ، وتمكنت من اعـادة تركيب الجزء الاكبر من نصوص اربع وعشـــرين ملحمـــة واســـطورة سومرية •

ذلك هو المصدر الاساسى الذى اعتمدت عليه فى تحقيق الاســـاطير السومرية التى صورتها فى الفصول التالية من الكتاب •

اما الطبعة العلمية لهذه الملاحم والاساطير ، وهى الطبعة التى ستضم المواد السومرية بعد تصحيحها وضبط ترجمتها سطرا سطرا ، ووضـــع الشروح لها ، فأننى الآن فى سبيل اعدادها وسأنجز هذا العمل فى غضـــون العامين او الثلاثة اعوام القادمة ما لم يقف فى هذا السبيل عائق غير منتظر •

الفصل الأول

الاساطير السومرية ـ مضمونها واهميتها

ان علم الاساطير المقارن ، كما هو شأن العلوم الاخرى تقريبا ، قد يصيب ويخطىء ، وقد نشأ وتطور هذا العلم في اعقاب نشوء وتطور علم اللغة المقارن ، وهو العلم الذى كُرِّس منهاج البحث فيه لاصول اللغات وآدابها ، وقد احرز هذا العلم ، اى علم اللغة المقارن تقدما استثنائيا يعود سببه بالدرجة الاولى الى التسليم بحقيقة كون اللغة السنسكريتية ، وهي اللغة الدينية عند الشعوب الهندية القديمة وكذلك(الزند) أو اللغة الفارسية القديمة والتي تعتبر اللغة الدينية والادبية عند الشعوب الايرانية القديمة ، هاتان اللغتان ، وهما من اللغات الهندية الاوربية ، اتضحت حقيقة انتمائهما الى عائلة اللغات الاغريقية واللاتينية •

وكان التقدم الذى أحرزه علم دراسة اللغات الهندية الاوربية ، يعتمد بنطاق واسع على دراسة التراث الادبي القديم عند الاغريق والهندوس والايرانيين ، تلك الدراسة التي استلزمت بطبيعة الحال ، وبصورة مباشرة ، دراسة مقارنة للاساطير واقاصيص البطولة التي تتصل بذلك التراث وتعكسه •

وفي نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بزغت آفاق جديدة غير متوقعة في مجالات علم الاساطير المقارن ، وذلك اثر التطور الذى اصاب الجهود المبذولة لحل رموز الخطين الهيروغليفي المصري والمسماري البابلي ، كما كانت البحوث المكرسة لدراسة (العهد القديم) سببا في مضاعفة الجهود التي سرعان ما اتضح بنتيجتها بأن بعض مواد

(العهد القديم) تتميز بخصائص ميثولوجية نظرا لما وجد من تشابه تـــام بينها وبين ما تضمنته المصادر المصرية والبابلية •

وهكذا نجد ان دراسة علم الاساطير المقارن الذى كان يقتفي نفس السبيل الذى سلكه علم اللغة والذى اصبح مقتصرا فى بحثه على اللغـــات الهندية الاوربية القديمة ، اصبح يشمل اللغات السامية والمصرية القديمة •

وفى الوقت ذاته ، ظهر فى عالم المعرفة علم جديد وجد طريقة نحو النماء والتطور ، ونعنى به (الانثروبولوجى) ذلك العلم الذى اتضح بأن له اهمية اساسية فى دراسة علم الاساطير المقارن •

يضاف الى ذلك اكتشاف العديد من الشعوب والقبائل ذات المراحـل الحضارية المختلفة فى جميع القارات عدا القارة الاوربية ، وكانت هـــذه الشعوب والقبائل موضع اهتمام الرحالين وطلاب العلم والبعثات العلميـة فأولت بعنايتها دراسة لغات هذه الشعوب وعاداتها الغريبة ومسالك حياتهـا ومعتقداتها وشعائرها الدينية ، وكانت هذه الحقائق الجديدة المستخلصة من دراسة هذه الشعوب المتفاوتة فى نسبة تقدم حياتها البدائية تؤلف مصدرا من المواد الميثولوجية التى ادت بدورها الى اتساع مجال دراسة علم الاســاطير المقـــارن •

وهكذا أصبح فى الامكان تقسيم أصول موادنا التي نعتمد عليها فى دراسة علم الاساطير المقارن الى مجموعتين ، الاولى ، وتشـمل الاســاطير وقصص البطولات التى تعكسها الثقافات القديمة عند الهنـود والايرانيين والاغريق من جهة ، والبابليين والمصريين والعبرانيين من الجهة الثانيـة ، وجميع هذه الاساطير وقصص البطولات مدونة بصورة واضحة وموسـعة كما انتقلت وانعكست فى آداب هذه الشعوب فى الالف الاول قبل الميلاد ، ويمكننا ان نضيف الى هذه المجموعة ايضا الاساطـــير الاســـكندنافيـــة

والاديــة (Eddic) [1] والصينية واليابانية ... الخ المنحدرة من مختلف آداب العصور القديمة .

والمجموعة الثانية وتشمل الاساطير وقصص البطولات عند الشعوب البدائية التى اكتشفت فى القرن الاخير والتى استقيت من مضامين لغــة التخاطب التى يتكلم بها افراد هذه الشعوب المعاصرة والتى سجلها الرحالة وافراد البعثات العلمية وعلماء الانثروبولوجى . ولا حاجة الى القول بـأن جميع المصادر المادية البدائية التى تم الكشف عنها مؤخـرا ، تعتبر فــى الاساس ، وعلى المدى البعيد ، ذات قيمة علمية بالنسبة لعلم الاساطير المقارن والعلوم المتصلة الاخرى ، وهى من حيث الاهمية لا تقل قيمتها عن الثقافات القديمة كمصدر حيوى اساسى من مصادر هذا العلم .

ومن الواضح الجلى ، ان التراث الثقافى المتمثل فى المبتكرات الادبية والاساطير القديمة عند الاغريق والعبرانيين والهنود والايرانيين والبابليين والمصريين ، كان له ابرز الاثر فى كياننا الحضارى الثقافى ، ومع ان هــذه التصورات الروحية والدينية التى عكستها هذه الآداب قد نفذت الى عالمنــا الحديث المتطور ، فمازلنا نجهل شيئاً مهماً حتى الآن ، ونعني بذلك الاساطير السومرية التي تؤلف القصص الدينية لشعب لا ينتمي الى عائلة الشعوب السامية أو الهندية الاوربية والذى سكن بلاد سومر فى فترة تاريخية يمكن تحديدها على وجه التقريب ما بين ٣٥٠٠ الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد . لقد سكن هذا الشعب بقعة من الارض تعتبر صغيرة نسبيا وهى المنطقة التى تقع ما بـين نهرى دجلة والفرات والتى تمتد من الخليج العربى جنوبا حتى مدينــة بغداد الحديثة شمالا ، تلك البقعة التي يمكن أن نصفها بحق بأنها المهـد

---

(١) نسبة الى (Edda) ـ وهو عنوان كتابين قديمين يتضمنان القصائد والاغانى والمآثر الاسطورية والبطولية عند الشعوب الاسكندنافية القديمــة . المترجم

الثقافي لجميع ارجاء الشرق الادنى • اذا رجع القارىء الى « دائرة المعارف الدينية والاخلاقية تأليف (جمس هاستينگس) ، وأمعن النظر في مقال مطول عن اساطير نشوء الكون وخلق العالم فسيجد بحثا مفصلاً عن هذه الشعوب القديمة والحديثة واطوار تقدمها الثقافي مع وصف تحليلي لتصورات هذه الشعوب ومعتقداتها حول نشوء الكون ، ولو رجع القارىء أيضاً الى مجموعة التآليف المعنونة بـ (أساطير الاجناس البشرية) والتي خصص منها ثلاثة عشر مجلداً لبحث موضوع تحليل الاساطير المهمة في العالم ، لوجد بعض الاشارات والمعلومات عن الاساطير السومرية ، وتعتمد هذه المعلومات على ضآلتها ، على الحدس والظن المستقى من النسخ المحرفة والمعدلة لاساطير البابليين الذين انتصروا على السومريين في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد والذين اتخذوا قصص البطولات السومرية اساسا لتطوير اساطيرهم الخاصة •

ولكن من الحقائق المعروفة ، ان السومريين خلال فترة طويلة من الزمان تمتد من ٣٥٠٠ الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا ، كانوا يمثلون الجماعات التي هيمنت بثقافتها على جميع ارجاء الشرق الاوسط ، ومن المحتمل انهم قد ابتكروا طريقة الكتابة المسمارية وطوروا مجموعة الآلهة ومراتب الارباب وأسس التصورات الروحية والدينية التي سادت جميع ارجاء الشرق الادنى ، واخيراً فهم الذين ابتدعوا ادباً متطورا غنيا في محتواه ، اخاذاً في صيغته وتعبيره •

وبالاضافة الى كل ما اسلفنا ، فثمة حقيقة ينبغي أخذها بنظر الاعتبار فعندما دالت دولة السومريين واختفى كيانهم السياسي من الوجود ، اصبحت لغتهم في عداد اللغات الميتة بنتيجة انتصار الاقوام السامية عليهم وبذلك أصبحت اللغة الاكدية السامية تدريجياً لغة للتخاطب ، ولكن بالرغم من ذلك بقيت اللغة السومرية قيد الاستعمال حيث اتخذها المنتصرون الساميون

خلال قرون عديدة ، لغة لآدابهم ودياناتهم كما هو شأن اللغة اليونانية في عهد السيطرة الرومانية واللغة اللاتينية في العصور الوسطى •

صحيح ان اللغة السومرية وآدابها كانت الاساس الذى تعتمد عليه مدارس تعليم الكتابة والمراكز الثقافية والروحية في بابل وآشور ، الا ان ذلك لم يقتصر على هذه البلاد بل شمل العديد من الشعوب المجاورة كالعيلاميين والحوريين والحبشيين والكنعانيين ، ومن الواضح ان التصورات والقص الاسطورية السومرية ، بفضل محتواها واصالتها التاريخية ، قد تغلغلت الى جميع ارجاء الشرق الادنى ، ولهذا فأن دراسة الاساطير والقصص البطولية السومرية تعتبر من أهم العناصر الحيوية المعول عليها لفهم ودراسة الاساطير السائدة في الشرق الادنى القديم لانها توضح الى حد بعيد اصولها وتطورها •

ان الصفحات التالية من الكتاب • ستتضمن على وجه التخصيص ، صورة مختصرة للاساطير السومرية التى لم تكن معروفة فيما مضى ، والتى تهيأت لي امكانيات تقديمها ، وسأستهلها بتقديم الاساطير التي تدور حول خلق وتنظيم الكون وخلق الانسان ، ثم اقدم اسطورة (كور) بأشكالها الثلاثة التي تدور حول (هبوط انانا الى العالم الأسفل) ، واختتم البحث بتقديم خطوط عريضة لثلاث أساطير طريفة مختلفة •

واتمنى ان يحصل القارىء على صورة ملائمة وواضحة الاداء عن الاساطير السومرية ، تلك الاساطير التي تتميز بأتساع محتواها ودلالتها وتفاصيلها المدهشة ، آخذين بنظر الاعتبار الفترة الزمانية الثقافية التي انتجت خلالها هذه الروائع الادبية المتكررة •

الفصل الثاني

أساطير النشوء

ان الاساطير التي تعكسها ثقافة أي شعب من الشعوب ، والتى لهـا المكانة الاولى من حيث الاهمية والدلالة ، هي تلك التى تتضمن البحث فى اصل الـكون ونشوئه وفلسفة الـكائنات والخلق ، ونعني بذلك القصص الدينيـــة التي تهدف الى ايضاح اصل الكون ووجود الآلهـــة والانسان وسيتضمن هذا الفصل بحثاً ودراسة مسهبة فى نظريات الخلق وما يتصل بها من المفاهيم التى كانت معروفة فى بلاد سومر فى الالف الثالث قبـــل الميلاد ، وسيشتمل على ثلاثة مواضيع رئيسة هي (١) خلق الكون (٢) تنظيم الكون (٣) خلق الانسان .

خلق الكون

تتضح لنا الاصول الرئيسة لتصورات السومريين ومفاهيمهم حـول الكون وخلقـه ، في الابيـات الاولى من القصـيدة التي جعلت عنوانهـا « گلگامش وانكيدو والعالم الاسفل » ، وثمة فائدة ومتعة فى بحث تاريخ حل رموز هذه القصيدة ، فحينما حاولت للمرة الاولى حل رموزها فى عام ١٩٣٤ ، اتضح لي بأنها مدونة على ثماني قطع عثر على سبع منها فى (نفر) ، وعثر على الثامنة فى (اور) وهذه القطع جميعها مستنسخة ومنشورة ، فقد تولى (هوگو راداو) الذي كان يعمل فى متحف الجامعة ، نشر قطعتين منها من مجموعة فيلادلفيا وذلك فى عام ١٩١٠ ونشر (ستيفن لانگدون) قطعتين منها من مجموعة اسطمبول فى عـام ١٩١٤ ، كمـا نشر (أدورد كييرا) قطعة واحدة منها من مجموعة اسطمبول فى عام ١٩٢٤ ، اضافـة

الى قطعتين اخريين من مجموعة فيلادلفيا نشرهما في عام ١٩٣٤ ، ونشر (سي • جي • گاد) من المتحف البريطاني قطعة بحالة جيدة جداً حصل عليها من (اور) في عام ١٩٣٠ •

غير ان احياء وترجمة هذه القصيدة الاسطورية على الوجه الصحيح لم يكن ممكناً آنذاك وسبب ذلك يعود الى ان الكثير من الكسرات والالواح التي دونت عليها هذه الاسطورة ، كانت تبدو ، بعد مطابقة بعضها ببعض ، ذات محتوى غير معقول ، وفي بعض عباراتها اختلاف يحول دون امكان تنظيمها وترتيبها على الوجه الصحيح •

وفي عام ١٩٣٦ ، بعد أن ارسلت الى صحيفة (علم الآشوريات) ترجمتي الاولى لاسطورة (هبوط اننا الى العالم الاسفل) ، صممت منذ ذلك الحين على بذل كل جهد ممكن لبعث محتويات تلك القصيدة التي كانت جميع الدلائل تشير الى انها تتضمن قصة مهمة ومثيرة ، وأسفرت جهودي عن العثور على (الدليل) الذي اهتديت به لتنظيم القطع بشكلها الصحيح • لقد برز هذا (الدليل) واضحاً في ناحيتين مهمتين تكمنان في خصائص اسلوب الشعر السومري نفسه ، فالناحية الاولى رغم ضعف دلالتها الفنية ، تعتبر من حيث علاقتها بحل رموز القصيدة على جانب كبير من الاهمية ، بل انها هبة ثمينة يمكن ايجاز فحواها فيما يلي :ـ

حينما يجد الشاعر السومري انه من المستحسن تكرار بيت من قصيدته فأنه يكرره بنصه السابق دونما تغيير أو حذف أو اضافة ، ولنضرب على ذلك مثلا ، لو ان بطلا أو إلٰه أمر رسوله بأيصال رسالة ما فأن هذه الرسالة ، بصرف النظر عن طولها ومحتوياتها ، يعاد ذكرها في القصيدة بحذافيرها مرتين متواليتين ، ففي المرة الاولى يذكر نص الرسالة كما أمر السيد رسوله بايصالها ، وفي المرة الثانية تذكر حينما تصل هذه الرسالة فعلاً الى مرسلها وفي الحالتين يأتي ذكر الرسالة مكررا ومتطابقا ، وهكذا

اذا وجد خرم فى مقطع ما ، تيسر اصلاحه من نص المقطع الثانى الذى هو نسخة مطابقة للنص الاول •

اما الناحية الثانية التى افدتها من خصائص اسلوب الشعر السومرى فهى ان الشاعر السومرى يستعمل فى اداء مواضيعه الملحمية والاسطورية لهجتين ، هما اللهجة السومرية الاصلية واخرى تسمى بـ (اميسال) وهى تشابه اللهجة الاصلية تمام الشبه ما عدا اختلافا بسيطا فى بضعـة اصوات ومقاطع لفظية معينة ، والطريف فى الامر هو ان الشاعر يستعمل لهجـة (اميسال) حينما يريد التعبير عن كلام يجرى بلسان الالهـة (الانثى) وليس الذكر ، ولهذا نجد ان الكلام الذى تتحدث به (انانا) ملكة السماء يذكر بلجهة ال (اميسال) علاوة على ذكره باللهجة الاصلية •

وهكذا حينما اجد نصا بحالة يتعذر معها معرفة مضمونه ، اسـتطيع ان اجد النص نفسه مكررا بلهجة ال (اميسال) • لقد تمكنت بهـذا (الدليل) الذى عثرت عليه ، من الصاق الجزء الاول مما تفرق من اقسام القصيدة ونشرته فى عام ١٩٣٨ ، اما الجزء الثانى منها فلا يزال الكثير منه غامضا وحتى ان القسم الاول منه لم يسلم من خروم متعددة •

وفى عام ١٩٣٩ ، وجدت فى اسطمبول قطعة مكسورة دونت عليها القصيدة ، وفى خلال السنة الماضية ، تمكنت من معرفة محتويات سبع قطع اضافية فى متحف الجامعة فى فيلادلفيا فأستنسـختها وبـذلك اصبح لدينا الآن(١٦) قطعةدونت عليها القصيدة ويمكن اصلاح اكثر من مئتين وخمسين سطراً من نصوصها ومن ثم يمكن ترجمتها ، والآن فأن فى امكاننا سـرد محتويات قصيدتنا هذه على الوجه التالى :ـ

فى يوم من الايام ، كانت هناك شجرة تسمى بشجرة (الهولوپو) (ولعلها شجرة الصفصاف) مغروسة على شاطىء الفرات وكانت ترتوى من ماءه وقد حدث ان هبت الرياح الجنوبية فأقتلعت هذه الشـجرة من

جذورها فى الوقت الذى كان فيه نهر الفرات فائضاً ، وبينما كانت ملكة السماء (انانا) تتمشى على ساحل الفرات اخذت الشجرة بيدها وجاءت بها الى (ارك) وغرستها فى حديقتها المقدسة وتعهدتها بالرعاية لانها ارادت ان تتخذ من خشبها ، بعد نموها ، كرسيا وسريرا • وبعد مرور اعوام ، نمت الشجرة خلالها ، اتضح ل (انانا) بأنها غير قادرة على كسرها لان حية (لا يؤثر السحر فيها) قد بنت فيها بيتها ، وفى اعلاها بني طير (الزو) (وهو مخلوق اسطورى) عشه ووضع فيه فراخه ، وفى وسط الشجرة بنت (ليليث) ـ عذراء الارض المقفرة ـ بيتها ، ولهذا اخذت (انانا) العذراء المرحة ، تذرف دموع الحزن والاسى ، وحينما طلع الفجر ونهض اخوها (اوتو) (آله الشمس) من غرفة نومه ، حدثته باكية عما حدث لشجرتها (هولوپو) ، وحينما سمع (گلگامش) البطل السومري العظيم ، جد (هرقل) الاغريقى ـ حينما سمع بكاء (انانا) وشكواها تقدم اليها بشهامة الرجال واضعا نفسه تحت تصرفها فأرتدى درعه الذى يزن خمسين (منا) ـ وهو وزن بابلى يعادل حوالى خمسين پاونا انكليزيا ـ وتناول فأسه الذى يزن سبعة طالنات ـ الطالنوزن قديم يعادل الوزنه ، اى ٦٠ منا ـ وهوى به على الحية فذبحها ، اما طير (الزو) فقد هرب مع فراخه الى الجبل ، واقتلعت (ليليث) بيتها وطارت هاربة الى الارض المقفرة التى اعتادت التردد عليها ، وهكذا تمكن رجال (ارك) الذين كانوا فى صحبة (گلگامش) من قطع الشجرة وتقديمها الى (انانا) لتصنع من خشبها كرسيا وسريرا •

ولكن ما الذى صنعته (انانا) ؟ لقد صنعت من عروق شجرة (الهولوپو) شيأ اسمه (پكو) (من المحتمل ان يكون الطبل) ومن لبها صنعت شيأ اسمه (مكو) (من المحتمل ان يكون عصا الطبل) وقدمتهما هدية الى (گلگامش) جزاء شهامته ومروئته •••• ويلى ذلك مقطع يتألف

من اثنى عشر سطرا لم اتمكن من استجلاء حقيقة مضمونة رغم ان النص بحالة جيدة ••• وبعد ان نجتاز هذا المقطع الغامض ••• نواصل قراءة النص بوضوح فنجد ان (البكو) و (المكو) قد هبطتا الى العالم الاسفل بسبب صراخ العذراء الصغيرة وذلك من خلال ثقب في الارض ، فيصمم (گلگامش) على استعادتهما ولكنه يجد نفسه غير قادر على الوصول اليهما بيديه ولا بقدميه •• وهكذا نجد (گلگامش) وقد القى بنفسه على باب العالم الاسفل وهو يندب ويصرخ قائلا :

من ذا الذى سيجلب لى (بكى) من العالم الاسفل ؟
من ذا الذى سيجلب لى (مكى) من وجه العالم الاسفل ؟

وحينما يسمع (انكيدو) زميل (گلگامش) وصديقه الحميم ، حينما يسمع صوت سيده يجيبه قائلا :

يا سيدى علام تبكي ؟ ولماذا انتاب الحزن قلبك ؟
ان ل (پكو) التى تعود لك ••• انا سآتي بها لك من العالم الاسفل •
ان ال (مكو) التى تعود لك ••• انا سآتى بها لك من وجه العالم الاسفل •

غير ان (گلگامش) حذره من مغبة الهبوط الى العالم الاسفل ووصف له بايجاز المحرمات الموجودة فى ذلك العالم وقال مخاطباً اياه :ـ

لئن هبطت الى العالم الاسفل •
سأقول لك كلمة فأستمع لكلمتى •
سأقدم لك النصح فخذ بنصحي •
لا ترتد اثوابا نظيفة •
والا هاجمك الابطال (الموتى) كالاعداء
لا تطل جسمك بالزيت الجيد الموجود فى الاناء
مخافة ان يشموا رائحته ويتجمعوا حولك

لا ترم عصا الرماية الى العالم الاسفل

لئلا يحيط بك اولئك الذين ضربوا بعصا الرماية

لا تلبس نعلا بقدميك

لا تبك فى العالم الاسفل

لا تقبل زوجتك المحبوبة

لا تقبل ابنك المحبوب

لا تضرب زوجتك التى تكرهها

لا تضرب ولدك المكروه

لئلا يشد الصراخ وثاقك فى العالم الاسفل

ان البكاء من اجل تلك المضطجعة ، من اجل تلك المضطجعة

ام الالهة (ننازو) المضطجعة

التى لا يكسو جسدها المقدس غطاء

التى لا يغطى ثديها المقدس نسيج من قماش

× × × × ×

غير ان (انكيدو) لم يصغ الى نصيحة سيده وقام بكل ما يخالف تحذيرات (گلگامش) وهكذا اصبح فى قبضة العالم الاسفل ولم يتمكن من العودة الى الارض ، فأضطرب (گلگامش) وعاد مسرعا الى مدينة (نفر) ووقف باكيا امام (انليل) آله الهواء العظيم الذى كان فى الالف الثالث قبل الميلاد قائدا لمجموعة الالهة السومرية .

يا (انليل) ! يا ابتاه لقد سقط (بكي) فى العالم الاسفل

وسقط (مكي) فى العالم الاسفل

فأرسلت (انكيدو) لجلبهما لى ، فوقع فى قبضة العالم الاسفل

ان (نمتار) (الشيطان) لم يقبض عليه ، و (اشاك) (الشيطان) لم يقبض عليه .

العالم الاسفل هو الذى قبض عليه

في مخبأ (نرگال) الذى لا ينجو منه احد ... لم يقبض عليه
انما وقع فى قبضة العالم الاسفل
لم يصرع فى المعارك البطولية التى خاضها
انما وقع فى قبضة العالم الاسفل

× × × × ×

ولكن (انليل) رفض مساعدة (گلگامش) الذى ذهب مسرعا الى (اريدو) وكرر التماسه امام (انكي) (آله الماء) ، (آله الحكمة) الذى امر (اوتو) (آله الشمس) بفتح ثقب فى العالم الاسفل والسماح لروح (انكيدو) بالصعود الى الارض ، فصدع (اوتو) بأمر سيده ، فظهرت روح (انكيدو) امام (گلگامش) فعانق السيد خادمه ، واخذ (گلگامش) يسأل (انكيدو) عما شاهده فى العالم الاسفل .

من هنا ... وحتى نهاية القصيدة ، نجد ان المقطع قد اصيب بكسور بالغة ، بيد ان ما سلم من هذه القطعة يتضمن جزأً من الحوار الذى دار بين (گلگامش) و (انكيدو) على الوجه التالى :ـ

گلگامش ـ الم تر الذى لديه ولد واحد ؟
انكيدو ـ اجل لقد رأيت[1]
گلگامش ـ كيف كان يعامل ؟
انكيدو ـ « الجواب مخروم »
گلگامش ـ وهل ابصرت من اعقب ولدين ؟
انكيدو ـ اجل لقد ابصرت
گلگامش ـ وكيف كان حاله ؟
انكيدو ـ « الجواب مخروم »

---

(١) وردت بعض الاسئلة واجوبتها فى هذه المحاورة على وتيرة واحدة فأرتأيت تغيير صيغتها مع الابقاء على اصل المعنى لاجنب القارىء التكرار الممل . المترجم

گلگامش ـ ومن كان لديه ثلاثة اولاد ، الم تره ؟

انكيدو ـ بلى لقد رأيت

گلگامش ـ وكيف كان يعامل ؟

انكيدو ـ يشرب ماء كثيراً

گلگامش ـ ترى الم تر من كان لديه اربعة اولاد ؟

انكيدو ـ نعم لقد رأيت

گلگامش ـ وكيف كان هناك ؟

انكيدو ـ مثـل .... مبتهج القلب

گلگامش ـ هل شاهدت الذى اعقب خمسة اولاد ؟

انكيدو ـ اجل لقد شاهدت

گلگامش ـ وكيف وجدته ؟

انكيدو ـ كالناسخ الجيد كان مفتوح الذراعين ، انه يجلب العدالـة الى القصـر

گلگامش ـ وهل ابصرت الذى انجب ستة اولاد ؟

انكيدو ـ بلى لقد ابصرت

گلگامش ـ وماذا كان من امره ؟

انكيدو ـ انه كذلك الذى أُدخـل السرور الى قلبه

گلگامش ـ والذى لديه سبعة أولاد الم تره ؟

انكيدو ـ بلى لقد رأيت

گلگامش ـ وكيف كان هذا هناك ؟

انكيدو ـ كذلك الذى على مقربة من الآلهة ، هو .....

وتمضى بقية الاسئلة على النحو التالي :ـ

گلگامش ـ والذى جسمه ميت وملقى على الارض الم تجده ؟

انكيدو ـ ان روحه لم تجد الراحة فى العالم الاسفل

× × × × ×

وهكذا تنتهي قصيدتنا .... اما المصدر المهم لهذا الموضوع الذي يزودنا بمعلومات قيمة جدا عن تصورات السومريين ومعتقداتهم حول خلق الكائنات فهو المقطع الواضح في مقدمة القصيدة التي تبدأ بهذه الابيات :ـ

بعد ان ابتعدت السماء عن الارض
بعد ان انفصلت الارض عن السماء
بعد ان عين اسم الانسان
بعد ان اصبحت السماء بحوزة (آن)
بعد ان اصبحت الارض بحوزة (أنليل)
بعد ان حملت (ارشخيگال) الى (كور) هدية له
بعد ان بدأ رحلته ، بعد ان بدأ رحلته
بعد ان بدأ ابو (كور) رحلته
بعد ان بدأ (انكي) رحلته الى (كور)
(كور) رشق الملك بالحصى الصغيرة
رشق (انكي) بالحصى الكبيرة
بحصاه الصغيرة في يده
بحصاه الكبيرة للـ ...... السفينة
رمى مقدمة سفينة (انكي)
في معركة كالاعصار المدمر ، يسحق
المياه في مقدمة السفينة تهاجم الملك كما ينقض الذئب على فريسته
المياه تهاجم (انكي) في مؤخرة السفينة كأنها الاسد المهاجم

× × × × ×

وبعد تحليل مضمون هذا المقطع من القصيدة يتضح لنا بأن السماء والارض كانتا في الاصل متحدتين ثم انفصل بعضهما عن الآخر ، وعندما

خلق الانسان ، اصبحت السماء في حوزة (آن) (آله السماء) كما اصبحت الارض في حوزة (انليل) (آله الهواء) •

ويظهر ان الاحداث التي استجدت بعد ذلك ، ادت حالة من عدم الاستقرار ، لان الالهة (ارشخيگال) (يقابلها عند الاغريق ـ پرسفونة) ، قد اختطفت من قبل كور الذي ذهب بها الى العالم الاسفل مما حمل (انكي) على القيام برحلة للانتقام من (كور) ، غير ان هذا الاخير لم يكن عاجزاً عن الوقوف بوجه (انكي) بل اخذ يرشق سفينته بالحصى في حين ان المياه ايضا اخذت تهاجم مقدمة السفينة ومؤخرتها •

ولم تتضمن قصيدتنا ما اسفر عنه الصراع بين (انكي) و (كور) ذلك لان مقدمة اسطورة الخليقة لاصلة لها بالمحتوى الاساسي لقصيدة (گلگامش وانكيدو والعالم الاسفل) التي سبقت الاشارة اليها بل ان هذه المقدمة (مقدمة اسطورة الخليقة) وضعت في بداية القصيدة جرياً على العادة المتبعة من قبل الكتاب السومريين الذين كانوا يستهلون قصائدهم وقصصهم ببضعة اسطر تدور حول موضوع الخليقة •

واذا حللنا النصف الاول من هذه المقدمة نجد ان تصورات السومريين حول خلق الكائنات تتلخص فيما يلي :ـ

١ ـ في وقت ما كانت السماء والارض متحدتين

٢ ـ ان بعض الآلهة كانوا موجودين قبل انفصال السماء عن الارض•

٣ ـ بعد انفصال السماء عن الارض ، اصبحت السماء في حوزة (آن) اله السماء في حين ان الارض اصبحت في حوزة (انليل) اله الهواء •

غير ان نقاطا مهمة لم يرد ذكرها في هذه المقدمة وهي :ـ

١ ـ هل كان السومريون يعتقدون بخلق السماء والارض ؟ واذا

كان الامر كذلك فمن هو الذى خلقهما ؟

٢ ـ كيف كانت هيئة السماء والارض على الوجه الذى كان يتصوره السومريون ؟

٣ ـ من هو الذى فصل السماء عن الارض ؟

لقد تمكنت لحسن الحظ ، من الحصول على اجوبة هذه الاسئلة من بضعة نصوص سومرية وهى كما يلى :ـ

١ ـ فى لوح تضمن اسماء الآلهة السومريين ، نجد الآلهة (نمّو) الذى كتب اسمها بالمقطع الصورى الذى يعبر عن كلمة (البحر) ، قد وصفت بأنها الام التى ولدت السماء والارض ، ولهذا يعتقد السومريون بأن السماء والارض من خلق (البحر الاول) .

٢ ـ ان اسطورة (الماشية والغلة) التى تضمنت وصف الهى الماشية والغلة اللذين ارسلا من السماء الى الارض لتقديم النعمة والرخاء للجنس البشرى ، هذه الاسطورة تبدأ بالسطرين التاليين .

على جبل السماء والارض
ولد (آن) زملاءه (الانوناكي)

وليس بعيدا عن المعقول الافتراض بأن السومريين قد تصوروا السماء والارض المتحدتين على هيئة جبل قاعدته فى اسفل الارض وقمته فى اعلى السماء .

٣ ـ ان اسطورة (خلق الفأس) التى تصف كيف بدىء فى استعمال هذه الآلة الزراعية المهمة ، هذه الاسطورة تستهل بالمقطع التالى :ـ

الرب الذى يملك حقاً ، هو الذى اظهر للعيان
الرب الذى لا تبدل فى احكامه
(انليل) الذى يجلب البذور الى الارض لزرعها

تولى برعايته فصل السماء عن الارض

تولى برعايته فصل الارض عن السماء

وبهذا نحصل على جواب السؤال الثالث ، وهو ان (انليل) (آلـه الهواء) هو الذى فصل الارض عن السماء

وفى الامكان تلخيص معتقدات السومريين حول نشوء الكون واصل الخليقة فيما يلى :ـ

١ ـ فى البدء كان (البحر الاول) ، ولكن لم يرد ذكر اى شيء عن اصل وجوده ومن المحتمل ان السومريين قد تصوروا هذا البحر على انه قد وجد منذ الازل •

٢ ـ ان (البحر الاول) قد ولد الجبل الكونى الذى يضم السماء والارض متحدتين •

٣ ـ كان السومريون يعتقدون بأن الآلهة على هيئة البشـــر وان (آن) اى السماء ، كان ذكراً وكانت (كي) اى الارض انثى ومـــن اتحادهما ولد (آله الهواء) (انليل) •

٤ ـ ان (انليل) آله الهواء فصل السماء عـن الارض وحينمـــا اصبحت السماء فى حوزة (آن) والد (انليل) ، اصبحت الارض (كي) فى حوزة (انليل) وبنتيجة اتحاد (انليل) بأمه (كي) تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق الانسان وتأسيس الحضارة •

تنظيم الـــكون

يطلق السومريون على الكون اسم (آن ـ كي) ، والترجمة الحرفية لهذا الاسم هى (السماء ـ الارض) ولهذا فأن تنظيم الكون يقســم الى شقين ، اولهما ما يتصل بالسماء وثانيهما ما يتصل بالارض ، والســماء عند السومريين هى الفضاء وما فوقه ويطلقون عليها اسم (الاعلى العظيم) ، اما الارض فتعنى عندهم ما على وجه الارض وكذلك الفضاء فى اسـفلها ويطلقون عليها اسم (الاسفل العظيم) •

وعلى الرغم من ضآلة المواد الميثولوجية المتوفرة لدينا فـــى الوقت الحاضر ، والتى تتضمن موضوع تنظيم الكون ، يمكننا ان نستخلص منها المعلومات التالية :

يعتقد السومريون بأن (ننا) (اله القمر) وجميع الكواكب قـــد ولد من ابوين هما (انليل) إلـه الهواء وزوجته (ننليل) إلـهة الهــواء ، وبينما كان (ننا) (آله القمر) مسافرا فى قفة يجوب بها رحاب الفضاء ، تمكن خلال سفرته هذه من ان يبعث بالضوء الى ارجاء السماء فأستحالت ظلماتها الحالكة انوارا لازوردية وانتشرت حوله النجوم الصغيرة كحبوب القمح كما اخذت النجوم الكبيرة ، ولعلها الاجرام السماوية ، تدور حوله كأنها الثيران المتوحشة •

ويعتقد السومريون ايضا ، بأن (ننا) آله القمر وزوجته (ننگال) هما ابوا (اوتو) آله الشمس الذى يشرق من (جبل الشرق) ويغــرب فى (جبل الغرب) •

والى هذا الحد لانجد فى المادة التى استقينا منها هذه المعلومات اية اشارة الى سفينة او مركبة يتخذها (اوتو) آله الشمس واسطة لاجتياز اجــواء

السماء ، ولهذا السبب لا نعلم بالضبط ما الذى عمله (اوتو) خلال الليل ، وليس من غير الطبيعي الافتراض بأنه عند وصوله (جبل الغرب) فى نهاية اليوم ، يواصل رحلته خلال الليل مجتازا العالم الاسفل ثم يصل (جبل الشرق) عند الفجر ، بيد ان افتراضاً كهذا لا تؤيده المعلومات المتوفرة لدينا ، فالصلوات الموجهة الى إلـه الشمس والتى ورد فيها :

ايه يا (اوتو) يا راعي الارض ، يا ابا الناس من ذوى الرؤوس السود[٢] •

حينما تضطجع فأن الناس ايضا تضطجع

ايه ~~ايها~~ البطل (اوتو) ، حينما تستيقظ فأن الناس تستيقظ ايضا •

او من وصف طلوع الفجر الذى جاء فيه :

حينما يطل الفجر ••• حينما تبزغ الانوار فى الافق •

حينما يأتى البطل (اوتو) من (گانونو)

او من وصف غروب الشمس الذى ورد فيه :

لقد ذهب (اوتو) شامخ الرأس متجها الى حضن امه (ننگال)

من كل ما تقدم يتضح لنا بأن السومريين يعتقدون بأن (اوتو) كان ينام خلال الليل •

وعند استقصاء بحث موضوع تنظيم الارض ، نجد ان (انليل) إلـه الهواء هو الذى خلق (اليوم الطيب) وهو الذى عقد العزم على تزويد الارض ببذور الزرع وجلب (الهيگال) الى وجه الارض ، و (الهيگال) تعنى الوفرة والغزارة والرخاء ، وانه هو الذى حدد شكل الفأس والمحراث وجعلهما من ضمن الادوات الزراعية التى يستعملها الانسان ، وهو الذى

---

(٢) ان (ذوى الرؤوس السود) هى التسمية التى اطلقها السومريون على عامة الناس ولعلها تقابل ما اصطلح عليه بالعربية بكلمة (سواد الناس) • المترجم

عين الفلاح (اينتين) عاملا زراعيا يعتمد عليه ويثق به ، ومن الجهة الثانية نجد ان (انكي) إلـه الماء هو الذى ولد (أوتـو) إلـه الزرع ، وان (انكي) هو الذى ينظم شؤون الارض وعلى الاخص الجزء الذى يضم سومر وما يجاورها ، ويقدر مصائر (اور) و (ملوخّا) ويعين مختلف صغار الآلهة للقيـام بالواجبات المخصصة لهم ، نجد كـذلك ان كـلا من (انليـل) و (انكي) ، اى اله الهواء واله الماء هما اللذان ارسلا (لاهار) اله الماشية و (اشنان) (آلهة الغلة) ، ارسلاها من السماء الى الارض ليجعلا الغلة والماشية وفيرة على وجهها •

ان الخطوط العريضة التى اوجزناها آنفـا ، والتى تتعلق بموضوع تنظيم الـكون ، تعتمد على تسع اساطير ، تمكننا من الوقوف عـلى جميع محتوياتها ، او على قسم كبير منها ، اثنتان منها تدور حول اله القمر (ننا) وهما (اسطورة انليل وننليل) ابوي (ننا) ، واسطورة رحلة (ننا) الى نفـر •

اما الاساطير السبع الاخرى، فهي ذات اهمية رئيسة بالنسبة لتصورات السومريين حول نشوء وتأسيس الثقافة والحضارة عـلى وجه الارض ، وهذه الاساطير هي :

١ ـ (ايميش) و (اينتين) ـ انليل يختار الاله الفلاح •

٢ ـ خلق الفأس •

٣ ـ الغلة والماشية •

٤ ـ (انكي) و (ننخر ساگ) ـ شؤون اله الماء •

٥ ـ (انكي) وسومر ـ تنظيم الارض ونشوء الثقافة فيها •

٦ ـ (انكي) واريدو ـ رحلة إلـه الماء الى (نفر) •

٧ ـ (انانا) (وانكي) ـ نقل فنون الحضـارة من (اريدو) الى (ارك) وسنذكر فيما يلى بأختصار محتويات كل من هذه الاساطير عـلى اختلاف انواعها ومدىغزارتها عسى ان يتمكنالقارىء من تثمين التصورات الميثولوجية عند السومريين وما تتضمنه من مفاهيم روحية وأدبية •

انليل وننليل

ولادة (ننــا)

تتألف هذه الاسطورة المبهجة من ١٥٢ سطراً تضمنها أصل النص وتكاد تكون كاملة، وهي على مايبدو ، تهدف الى ايضاح كيفية ولادة إلٰه القمر (ننا) بالاضافة الى ثلاثة آلهة آخرين من العالم الاسفل وهم (نرگال) و (نينازو) وإلٰه ثالث لم يتضح اسمه •

واذا ما ترجمت هذه القصيدة على وجه الدقة ، نجد انها تقدم لنا اول مثال لتقمص الآلهة (أي تحولها الى هيئة كائن آخر) وذلك حينما يتقمص (انليل) هيئة ثلاثة اشخاص مختلفين يمثلون ثلاثة آلهة من العالم الاسفل ثم يتصل بزوجته ويجعلها تحمل بثلاثة أجنة من ثلاثة آلهة من العــالم الاســفل •

تبدأ القصيدة بمقطع يتضمن وصف مدينة (نفر) التي كان القوم يعتقدون بوجودها قبل خلق الانسان :

انظر تماسك السماء والارض ، المدينة
انظر « الجدار الجيد » المدينة
انظر (ايدسالا) ، نهرها الصافي
انظر (كراكرونّا) مرفأها الذي ترسو عليه السفن
انظر (پولال) بئر مائها العذب
انظر (ادنبردو) قناتها النقية
انظر (انليل) رجلها الشاب
انظر (ننليل) عذراءها الفتية
انظر (ننبار شگونو) امرأتها العجوز •

★ ★ ★ ★

وبعد هذه المقدمة الوجيزة تبدأ القصة حيث توعز (ننبارشگونو) (امرأة نفر العجوز) وام (ننليل) الى ابنتها لايقاع (انليل) في حبائل حبها :

في تلك الايام ، وجهت الام النصح الى عذرائها التي ولدتها ، (ننبار شگونو) وجهت النصح الى (ننليل)

في النهر الصافي ، يا عذرائي ، في النهر الصافي اغتسلي يا (ننليل) ، تمشي على ضفاف نهر (ادننبردو)

ذو العيون البراقة ••• الرب •• ذو العيون البراقة

الجبل العظيم ••• الاب (انليل) ، ذو العيون البراقة ، سيراك الراعي الذي يقدر المصائر ، ذو العيون البراقة ، سيراك انه ••• سيقبلك

* * * *

وتعمل (ننليل) بنصيحة امها فتصبح حبلى من (ماء) (انليل) وتحمل اله القمر (ننا) •

ثم يغادر (انليل) مدينة (نفر) متجهاً الى العالم الاسفل غير ان (ننليل) تتبعه ، وعندما يترك الباب يوعز الى (حارس الباب) الا يزودها بأية معلومات عن مكان وجوده ، ثم تأتي (ننليل) وتطلب من حارس الباب أن يخبرها عن مكان وجود (انليل) الذي يبدو انه قد تقمص هيئة (حارس الباب) وتولى الاجابة على أسئلتها ، ولكن المقطع هنا غامض بعض الشيء ، ولعله قد تضمن ما يشير الى ان الحارس لم يستجب الى طلب (ننليل) ولهذا تذكره قائلة لئن كان (انليل) هو الملك حقاً فأنها هي الملكة ! حينئذ يتصل بها (انليل) وهو لا يزال متقمصاً هيئة حارس الباب فتحمل منه وتلد (مسلامتايا) المعروف بأسم (نرگال) ملك العالم الاسفل ، ورغم الغموض الذي يكتنف بعض أجزاء هذا المقطع الا ان الابيات التالية توضح الشيء الكثير من محتوياته :

(انليل) غادر المدينة

(نونا منير) (من أسماء انليل) غادر المدينة

لقد مشى (انليل) وتبعته (ننليل)

لقد مشى (نونامنير) وتبعته العذراء

يقول (انليل) لحارس الباب

يا حارس الباب ، يا رجل القفل

يا رجل المزلاج ، يا رجل القفل

ان الملكة (ننليل) قادمة

فأذا سألتك عني

فلا تقل لها أين أنا !

اقتربت (ننليل) من حارس الباب

يا حارس الباب ، رجل القفل

يا رجل المزلاج ، يا رجل القفل الطاهر

(انليل) الملك ، الى أين هو ذاهب ؟

(انليل) يجيب بلسان حارس الباب

(انليل) ملك جميع البلاد قد أمرني

ويلي هذه الابيات أربعة أسطر تتضمن ماهية هذا الامر غير انها ليست واضحة تمام الوضوح ، ثم يرد الحوار التالي بين (ننليل) و (انليل) المتقمص هيئة حارس الباب :

ننليل ـ حقاً ان (انليل) هو الملك ولكنني انا الملكة

انليل ـ لئن كنت الآن ملكتي فدعي يدي تلمسك

ننليل ـ ان (ماء) الملك (الماء) الصافي هو في قلبي ، (ماء) (ننا) (الماء) النقي هو في قلبي

انليل ـ ليذهب (ماء) ملكي الى السماء ليذهب الى الارض

ليذهب (مائي) كماء ملكي الى الارض

(انليل) (بهيئة) حارس الباب يضطجع في .....

لقد قبلها وجامعها

وبعد أن قبلها وبعد أن جامعها

جرى (ماء) (مسلامتايا) في قلبها

وتمضي القصيدة متضمنة وصف ولادة اله العالم الاسفل (نينازو)

وتقمص (انليل) هيئة حارس نهر العالم الاسفل ، وهي بجملتها لا تخرج عن كونها تكرارا لوصف ولادة (مسلامتايا) على النحو التالي :

لقد مشى (انليل) وتبعته (ننليل)

لقد مشى (نونامنير) وتبعته (ننليل)

يقول (انليل) لحارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر .

يا حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر

ان ملكتك (ننليل) قادمة

فاذا سألتك عني

فلا تقل لها أين أنا

اقتربت (انليل) من حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر

يا حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر

(انليل) ملكك الى أين هو ذاهب ؟

(انليل) يجيب بلسان حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر

(انليل) ملك جميع البلاد قد أمرني

ان ماهية هذا الامر غير واضحة ... ويلي ذلك الحوار الذى جرى بين (ننليل) و (انليل) الذى تقمص هيئة حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر

ننليل ـ حقاً ان (انليل) هو الملك ولكنني أنا الملكة

انليل ـ لئن كنت الآن ملكتي فدعي يدي تلمس .....

ننليل ـ ان (ماء) الملك (الماء) الصافي هو فى قلبي (ماء) (ننا) الماء النقي هو فى قلبى

انليل ـ ليذهب (ماء) ملكي الى السماء ، ليذهب الى الارض ليذهب (مائي) كماء ملكي الى الارض

ننليل بهيئة حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذى يفترس البشر يضطجع فى ......

لقد قبلها وجامعها

وبعد ان قبلها وجامعها

جرى (نينازو) ملك ..... فى قلبها

وتستمر القصيدة متضمنة وصف ولادة الاله الثالث فى العالم الاسفل والذى لا يزال اسمه غير واضح ، حيث نجد ان (انليل) يظهر بهيئة (ملاح) ثم تنتهى اسطورتنا بمقطع يتضمن تمجيداً لـ (انليل) بوصفه اله الرخاء والملك الذى لا تتغير احكامه .

رحلة (ننا) الى (نفر)

كانت مدينة نفر فى الالف الثالث قبل الميلاد ، المركز الروحى لبلاد سومر ، وكان الاله الحارس لهذه المدينة هو (انليل) الذى يعتبر رأس الآلهة السومرية ، ويعتبر معبده فى (ايكور) من اهم المعابد آنذاك ، ومن بركات (انليل) كانت مدنهم المهمة كأريدو واور تنعم بالرخاء والنعمة.

ومن اجل الحصول على بركات (انليل) كان القوم يعتقدون بأن الالهة الحارسة لهذه المدن كانت تسافر الى (نفر) حاملة الهدايا لتقديمها لآلهتها ومعبدها •

واسطورتنا هذه تتضمن وصفاً لرحلة يقوم بها اله القمر (ننـا) من (اور) الى (نفر) ، ويعرف هذا الاله ايضا باسم (سين) و (آشيگر بابر) الاله الحارس لمدينة (اور) •

لقد ورد في هذه الاسطورة كما سبق ان ورد في اسطورة (انليل) و (ننليل) السالفة الذكر ، بأن مدينة (نفر) و (اور) كانتا من المدن العامرة الغنية بأنواع النباتات والحيوانات وذلك قبل ان يخلق الانسان •

وتستهل القصيدة بوصف امجاد سومر وعـزم (ننـا) عـلى زيارة مدينة ابيه :ـ

ومن اجل الذهاب الى مدينة ابيه والمثول امامه (اشيگر بابر) عقد العزم قائلا :

انا لبطل ، احب الذهاب الى مدينتي والوقوف أمام ابي •
انا (سين) ارغب في الذهاب الى مدينتي والمثول امام ابي
امام ابي ، (انليل) اود الوقوف •
انا ، الى مدينتي ، احب الذهاب والوقوف امام امي (ننليل) •
امام ابي ، اود ان اقف

وهكذا يبدأ رحلته من (اور) الى (نفر) بقفة يحمل فيها اصناف الاشجار والنباتات والحيوانات ، وفي خلال رحلته هذه يقف في خمس مدن هي (أم ـ ؟) و (لارسكا) و (ارك) وفي مـدينتين اخـريين لم يتضح ذكر اسميهما ، وفي كل مدينة يمر بها (ننا) يستقبله الاله الحارس لتلك المدينة بالتحية والترحاب الى ان يصل مدينة (نفر) •

على مرسى حجر اللازورد ، مرسى (نفر)

(ننا) ـ (سين) ارسى سفينته

في المرسى الابيض ، مرسى (انليل)

(اشيگر بابر) ، ارسى سفينته

على ..... الاب الذى جاء به الى الوجود ، اقام نفسه

يقول لبواب (انليل)

افتح البيت يابواب ، افتح البيت

افتح البيت ايها الجني الحارس ، افتح البيت

افتح البيت يا من خلقت الاشجار ، افتح البيت

يا ...... يا من خلقت الاشجار ، افتح البيت

ايها البواب ، افتح البيت ، ايها الجنى الحارس افتح البيت ثم يعدد الهدايا التى جلبها فى سفينته ، وتختتم القصيدة بالمقطع التالى :

ايها البواب ، افتح البيت ، ايها الجني الحارس افتح البيت .

ان ذلك الذى على رأس السفينة ، ذلك الذى على الرأس ، اريد ان اعطيك اياه .

ذلك الذى فى مؤخرة السفينة ، اريد ان اعطيك اياه ويفتح البواب الباب ل (ننـا) :ـ

البواب ، بمنتهى السرور ، فتح الباب

الجني الحارس الذى خلق الاشجار ، فتح الباب بكل سرور

ذلك الذى خلق الاشجار ، بمنتهى الغبطة

البواب ، بمزيد الفرح ، فتح الباب

وهكذا يفرح الالهان بلقائهما ، ثم يخاطب (ننا) والده (انليل) قائـلا :

في النهر اعطني فيضاً من الماء

في الحقل اعطني المزيد من القمح

في الاهوار اعطني المزيد من العشب والقصب

في السهل اعطني ......

في الغابات اعطني ......

في بستان النخيل وفي مزرعة العنب اعطني العسل والشراب

في القصر اعطني عمراً مديداً

الى (اور) سأذهب

ويستجيب (انليل) الى التماس ابنه :

لقد اعطاه (انليل) ، (انليل) اعطاه

لقد ذهب الى (اور)

في النهر اعطاه فيضاً من الماء

في الحقل اعطاه المزيد من القمح

في الاهوار اعطاه العشب والقصب

في الغابه اعطاه .....

في السهل اعطاه .....

في بستان النخيل وفي مزرعة العنب ، اعطاه العسل والشراب

في القصر اعطاه عمراً مديداً

ايميش واينتين
انليل يختار الاله الفلاح

ان هذه الاسطورة هي اقرب الاساطير السومرية شبهاً بقصة قابيل وهابيل التي وردت في التوراة رغم انها تنتهي بالمصالحة بدلاً من القتل ، وهي تتألف من اكثر من ثلثمائة سطر ، ولم يسلم من الكسر سوى

ما يقرب من نصفها ، وقد اصبح معنى النص ، فى اغلب الاحوال غـــير واضح ، بسبب ما تعرض له من الكسور ، وفى الامكان اصلاح محتوى القصيدة التى يتضح منها :ـ

ان (انليل) اله الهواء يصمم على خلق الاشـجار والقمح ليحقق الوفرة والرخاء على وجه الارض ، ولهذا الغرض ـ يخلق كائنين همـــا الاخوان (ايميش) و (اينتين) ويعين لكل منهما واجباً معيناً ، وفى هــذا الموضع نجد النص مهشماً جداً بحيث يتعذر معرفة حقيقة هذين الواجبين ، غير ان المقطع المختصر الذى يلى هذا الموضع يمكننا من معرفة واجباتهما بصورة عامة وقد جاء فيه :ـ

(اينتين) هو الذى جعل الشاة تلد الحمل والمعزاة تلد الجدى •

هو الذى سبب وفرة البقر والعجول وهو الذى زاد فى نتاج السمن واللبن •

فى السهل ، هو الذى ادخل المرح الى قـلب المعـزاة الوحشـية والخروف والحمار •

طيور السماء ، هو الذى مكنها من بناء اعشاشها فى الارض الواسعة•

سمك البحر ، هو الذى مكنها من ان تضع بيضها فى الاهوار

فى بستان النخيل ومزرعة العنب ، هو الذى جعل العسل والشراب وفـــيراً

والاشجار حيثما غرست ، هو الذى جعلها تحمل الثمر

والغلة ومحاصيل النبات ، هو الذى جعلها تنمو

مثل (أشنان) آلهة الغلة ، العذراء الرحيمة ، هو الذي جعلها تنمو

(ايميش) خلق الاشجار والحقول وهو الذى اكثر من الاصطبلات وزرائب الغنم

فى المزارع ، هو الذى انتج الوفرة
ال ••••• هو الذى جعله يغطى سطح الارض
الغلة الوفيرة ، هو الذى ملأ بها البيوت
هو الذى وضع فى الاهراء اكواماً عالية

ومهما كانت طبيعة واجباتهما الاصلية (اى ايميش واينتين) فأن خصاماً شديداً يحدث بين هذين الاخوين ، ثم ان (ايميش) يتحدى ادعاء (اينتين) بكونه فلاح الالهة ، الامر الذى يدعوهما للذهاب الى (نفر) حيث يعرض كل منهما قضيته على (انليل)

ويتقدم (اينتين) بشكواه الى (انليل) قائلا :

ايها الاب (انليل) ، لقد منحتني الحكمة وجلبت انا الماء والوفرة •
انا الذى جعلت المزارع واحدة جنب اخرى ، وانا الذى كدست الاهراء •
والآن (ايميش) ال ••••• غير المحترم والذى لا يعلم شيئاً عن اصول زراعة الحقول •
فى بداية قوتى •••• فى اوائل مقدرتى ،
انتهك حرمتى ،
فى قصر الملك ،

وحديث (ايميش) فى هذا الخصام يبدأ ببضع عبارات تملق يوجهها ببراعة الى (انليل) ليكسب عطفه ، ان هذا الحديث رغم كونه مختصراً الا انه لا يزال غامض المعنى •

وبعد ذلك يوجه (انليل) خطابه الى (ايميش) و (اينتين) قائلا :

ان المياه التى تخلق الحياة فى جميع البلاد ، قد اوكل امرها الى (اينتين) •

وبوصفه فلاح الالهة ، فقد انتج كل شيء •
(ايميش) ، يا بني ! كيف تقارن نفسك بأخيك (اينتين) ؟
ان كلمات (انليل) السامية العميقة في معناها
والقرار المتخذ غير قابل للنقض ، من ذا الذي يجرأ على نقضه ؟
ركع (ايميش) امام (اينتين)
والى بيته جاء بـ (ال ••••••••) النبيذ والعنب والتمر •
(ايميش) قدم لاخيه (اينتين) الذهب والفضه وحجر اللازورد •
وفي نشوة الاخوة والصداقة ، سكبا الخمرة بكل سرور ، تمجيداً وتكريماً للالهة

وعقدا العزم على العيش سوية بحكمة
وبنتيجة هذا الخصام
برهن (اينتين) فلاح الالهة المخلص ، على انه اعظم من (ايميش)•
سبحان الاب (انليل) •

خلق الفأس

تتألف هذه القصيدة من ١٠٨ سطور وهى كاملة رغم ان بعض المقاطع فيها لا يزال غامض المعنى ، وتبدأ بمقدمة مطولة تتميز بأهمية رئيسة لكونها تتضمن عقيدة السومريين فيما يخص خلق الكون وتنظيمه ، ولئن وجد القارىء بعض الغموض او الضحالة او التكلف فى ترجمة المقطع التالى ، فعليه ان يتذكر بأنه بالرغم من معرفتنا معانى الكلمات والجمل السومرية ، فما زلنا نعرف الشىء القليل مما تتضمنه من معان او دلالات اخرى ، وسبب ذلك هو ان الطريقة المتبعة فى وضع وترتيب الكلمات والجمل فى التآليف السومرية غير واضحة لدينا تمام الوضوح ونفس الشىء يقال بالنسبة لكتابة المواضيع الدينية والميثولوجية ، وهذه

الطريقة يتقنها الشاعر السومرى جيدا كما يعرفها قراء شعره آنذاك ، ولهذا فأن فهم مضمون النص السومرى يتطلب بالضرورة معرفة هذه الطريقة ، ولابد لنا والحالة هذه من الاعتماد على القرائن الحية المبثوثة فى نصوص الادب السومرى والتى بدأت تتجمع لدينا مما قد يساعدنا على تذليل هذه الصعوبات ، اما الآن فلا مفر لنا من القيام بترجمة حرفية للكلمات والجمل .

تبدأ القصيدة بالمقطع التالى :

الرب الذى يملك حقاً ، هو الذى اظهر للعيان
الرب الذى لا تبدل فى احكامه
(انليل) الذى يجلب البذور الى الارض لزراعتها
تولى برعايته فصل السماء عن الارض
تولى برعايته فصل الارض عن السماء
من اجل ان تنمو الكائنات التى خلقت
فى (تماسك) السماء والارض ، (نفر) التى بلغت ال ....
هو الذى جاء بالفأس الى الوجود وخلق اليوم
هو الذى خلق العمل وقدر المصير
ان فأسه من الذهب ورأسها من حجر اللازورد
فأس بيته ..... من الفضة والذهب
فأسه التى ..... هى من حجر اللازورد
والذى (سنه) هو ثور ذو قرن واحد يقف فى اعلا جدار واسع
الرب الذى سمى الفأس وقدر مصيرها
وضع (الكندو) ، التاج المقدس على رأسه
رأس الانسان وضعه على التراب

قبل (انليل) (هو) (الانسان ؟) غطى ارضه
نظر الى الناس ذوى الرؤوس السود بثقة
(الانوناكي) الذين جلسوا على مقربة منه
وضعها (الفأس ؟) كهدية في ارضهم
ورتلوا الصلواة مع (انليل)

لقد اعطو الفأس الى ذوى الرؤوس السود ليمسكوا بها وبعد ان يخلق (انليل) الفأس ويقدر مصيرها ، تنتهى القصيدة بمقطع طويـــل يتضمن وصف فوائد الفأس ، وجاء في السطور الاخيرة من هذا المقطع مـــا يــلى :

القأس والسلة تبنى المدن

الدار الثابتة الاركان بنتها الفأسُ ، الدار الثابتة الاركان انشأتهـــا الفــأس

الدار الثابتة الاركان هى التى سببت الازدهار
الدار التى ثارت ضد الملك
الدار التى لا تستسلم لملكها
الفأس يجعلها تستسلم للملك
للردىء ••••• النباتات تحطم الرأس
تجتث الجذور تسقط على التاج
الفأس تطعن الـ •••••• النباتات
الفأس قرر مصيرها الاب (انليل)
المجد للفأس !

× × × ×

الماشية والغلة

تدور احداث هذه الاسطور حول اله الماشية (لاهار) واخته (اشنان) الهة الغلة ، وتمثل صورة ثانية لقصة (قابيل وهابيل) ضمن اساطير الشرق الادنى •

تخبرنا هذه الاسطورة ، بأن (لاهار) و (اشنان) قد خلقا في غرفة الخلق التابعة للآلهة حيث انيط بهما واجب اطعام واكساء (الانوناكى) وهم اطفال واتباع اله السماء (آن) ، غير ان (الانوناكى) لم يحصلوا على فائدة حقيقية مما قدمه هذان الالهان من انتاج ، ولتلافى هذا الامر خلق الانسان ، هذا ما نجده مسطورا في مقدمة الاسطورة ، وقد اوردنا ترجمة كاملة لهذه المقدمة (ضمن اسطورة خلق الانسان) بالنظر لاهمية محتواها وعلاقته بتصورات السومريين حول خلق الانسان والمقطع الذى يلى المقدمة ، هو طرفة شعرية اخرى تحدثنا عن هبوط (لاهار) و (اشنان) من السماء الى الارض وما يقدمانه الى الجنس البشرى من فوائد جليلة •

فى تلك الايام ، يقول (انكي) ل (انليل)
ايها الاب (انليل) ، ان (لاهار) و (اشنان) ،
اللذين خلقا فى (الدلكوگ)
لنجعلهما يهبطان من (الدلكوگ)
واثر ما قاه به (انكى) و (انليل) من قول سديد
هبط (اشنان) و (لاهار) من (الدلكوگ)
من اجل (لاهار) ، (انليل) و (انكي) خلقا زريبة الغنم
النباتات والاعشاب قدماها له
من اجل (اشنان) ، اسسا داراً

الفدان والمحراث قدماه له
(لاهار) يقف فى زريبته
هو الراعى الذى يكثر العطاء فى هذه الزريبة
(اشنان) تقف ما بين الغلة
انها لعذراء ومعطاءة
خير السماء
اتى بـه (لاهار) و (اشنان)
جلبا الرخاء الى مجلس الآلهة
جلبا نفس الحياة الى الارض
لقد نفذا اوامر الرب
وضاعفا المخزون من القمح
وملآ مخازن الغلة
الى دار الفقير الذى يغمره التراب
دخلا ومعهما الرخاء
كلاهما حيث يقفان
يجلبان الخير العميم الى الدار

وحيثما وقفا جلسا وفى المحل الذى يجلسان فيه يقدمان العطـاء لقد ادخلا البهجة الى قلب (آن) و (انليل) غير ان (لاهـار) و (اشنان) يحتسيان المزيد من النبيذ ويختصمان فى المزارع والحقول، ويحتدم الجدل بينهما ، ويفخر كل منهما بأنجازاته ويذم احدهما الآخر ، وأخيرا يتدخل كل من (انليل) و (انكى) ويتخذا قرارا لفض هـذا النزاع غير اننا لا نعلم فحوى هذا القرار الذى ورد فى نهاية القصيدة •

× × × ×

انكي و ننخرساگ

ـ شؤون إلـه الماء ـ

ان مضمون هذه القصة وبساطة اسلوبها ، جعلها من امتع ما تضمنته مجموعتنا القصصية ، وبطل هذه القصة هو (انكي) اله الماء العظيم عند السومريين ، واحد اربعة من آلهة الخلق في سومر ، وهو نظير (بوسيدون) الاغريقي • تجرى احداث هذه القصة فى (دلمون) التى قد يكون من المرجح تحديد موقعها فى الضفاف الشرقية من الخليج العربى[٣] والتى كانت فى العهود التاريخية خارج نطاق الممتلكات السومرية • وقد استهلت القصيدة بوصف (دلمون) على انها البلد الذى ينعم بالسلم والسعادة •

الارض (دلمون) هى الموطن الطاهر

الارض (دلمون) هى المحل النظيف

الارض (دلمون) هى المحل النظيف ، الارض (دلمون) هى الارض المشرقة •

هو ذلك الذى اضطجع وحده فى (دلمون)

المحل الذى اضطجع فيه (انكي) مع زوجته

---

(٣) يرى الاستاذ طه باقر ، العالم الاثري العراقي ، ان من الارجح تعيين موقع دلمون فى البحرين بالاستناد الى ما ورد فى :
(Supplementary Study No 1 of the Bulletin of the American Schools of Oriental Research)

(انظر من الواح سومر ـ تاليف صمويل كريمر وترجمة طه باقر ـ هامش (١) ص ٢٤١ •

(المترجم)

ان ذلك المحل نظيف ، انه مشرق

في (دلمون) لا ينعق الغراب الاسود

والحدأة لا تصرخ صراخ الحدأة

والاسد لا يفتك

والذئب لا يفترس الحمل

والكلب قاتل الجداء غير معروف هناك

وذكر الخنزير الذى يفترس الغلة غير معروف هناك

والطير فى الاعالي لا ...... فراخه

والارمد لا يقول انني أرمد

ومن به صداع لا يشكو من الصداع

وامرأة (دلمون) العجوز لا تشكو من الشيخوخة

ورجل (دلمون) الشيخ لا يتبرم من كبر السن

وعذراؤها غير المغتسلة لا ..... فى المدينة

وذلك الذى يعبر النهر لا يقول .....

والذى يراقب لا .....

والمنشد لا ينتحب

وفى أطراف المدينة لا ينطق بالرثاء

★ ★ ★

غير ان هذا الفردوس لا يعوزه غير الماء العذب ولهذا فان الهة (دلمون) (ننسيكل) تلتمس من (انكى) ان يوفر الماء العذب فيستجيب الى طلبها ويأمر اله الشمس (اوتو) أن يأتي بالماء النقي الى (دلمون) وبذلك أصبحت :ـ

مدينتها تشرب الماء الوفير

(دلمون) تشرب ماء الرخاء

آبارها ذات الماء المر ، انظر تراها وقد أصبحت مياهها عذبة

حقولها ومزارعها أنتجت الغلة والقمح

مدينتها ، انظر تراها وقد أصبحت داراً للشواطىء ومراسي الارض.

وبعد أن تنعم (دلمون) بالماء العذب تصف القصيدة ولادة (أُتّو) الهة الزرع ، تلك الولادة التى تحدث م نتوالي عمليات معقـــدة ، ففي بادىء الامر يخصب (انكي) الالهة (ننخرساگ) ولنطلق عليها اسماً آخراً من أسمائها وهو (ننتو) الالهـة السومرية التى كـانت تدعى فى الازمنة القديمة بأسم (كي) (ام الارض) ، ويلى ذلك مرور مدة الحمل التى تستغرق تسعة أيام ، ونجد انالقصيدة تشير الى أن كل يوم من هذه الايام يعدل شهراً وهكذا يتمخض هذا الحمل عن ولادة الالهة (ننسار) كما ورد فى الابيات التالية :ـ

(ننخرساگ) هى التى جعلت (ماء القلب) يجرى .

لقد حصلت على (ماء القلب) ماء (انكي)

يوم واحد صار شهرها الاول

ويومان مضيا كشهرين

وثلاثة أيام مضت كثلاثة أشهر

وأربعة أيام كانت كأربعة أشهر

وخمسة أيام كأنها خمسة أشهر

وستة أيام بمثابة ستة أشهر

وسبعة أيام مضت وكأنها سبعة أشهر

وثمانية أيام هى ثمانية أشهر

وتسعة أيام كانت أشهرها التسعة ، شهور الامومة .

مثل الـ .... السمن . مثل الـ ..... السمن كالزبد الجيد

جعل (ننسار) تلد

و (ننسار) بدورها تحمل من أبيها (انكي) ، وبعد تسعة أيام تلد الالهة (ننكور) وهذه هي الاخرى تحمل من (انكي) وتلد (أُتّو) الهة الزرع .

ثم تظهر (ننخرساگ) ، ام جدة (أُتّو) وتسدي لها النصح بشأن علاقتها المقبلة مع (انكي) . ان جزءاً من هذا المقطع مكسور وقد أخفقت في فهم الكثير مما تبقى من الجزء غير المكسور منه ، وعلى كل حال ، تأخذ (أُتّو) بنصيحة (ننخرساگ) فتحمل من (انكي) وتلد ثمانية أنواع من النباتات يلتهمها (انكي) وهكذا نجد :-

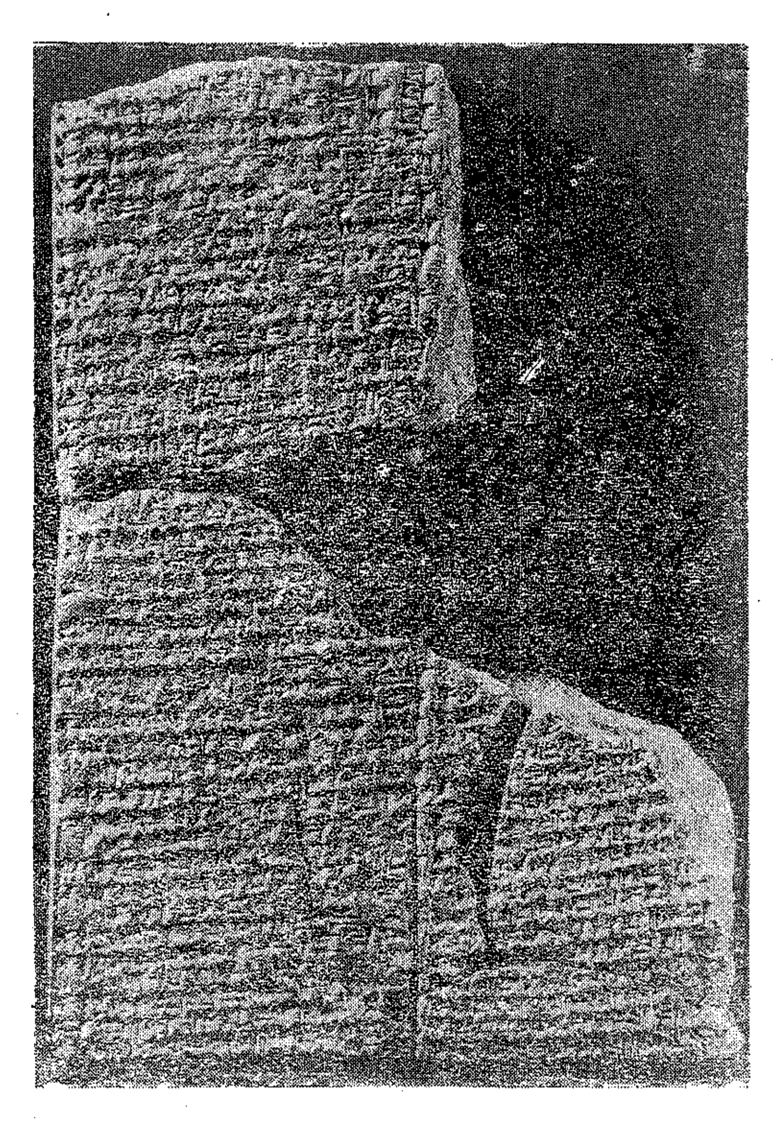
(انكي) ، في الاهوار ، في الاهوار كان يتنزه
يقول لرسوله (ايسمد)
ما هذا النبات ، ما هذا النبات ؟
فيجيبه رسوله (ايسمد)
يا ملكي ، هذا نبات الشجر
يقطعه له فيأكله (انكي)
انكي - ما هذا ؟ ما هذا ؟
ايسمد - يا ملكي هذا نبات العسل
يأكله له ويأكله

ويستمر الحديث على هذا النحو الى أن يأكل (انكي) النباتات الثمانية ولهذا السبب نجد ان (ننخرساگ) المسؤلة عن خلق هذه النباتات ، تصب لعنتها على (انكي) قائلة

« لن أنظر اليك بعين الحياة حتى تموت »

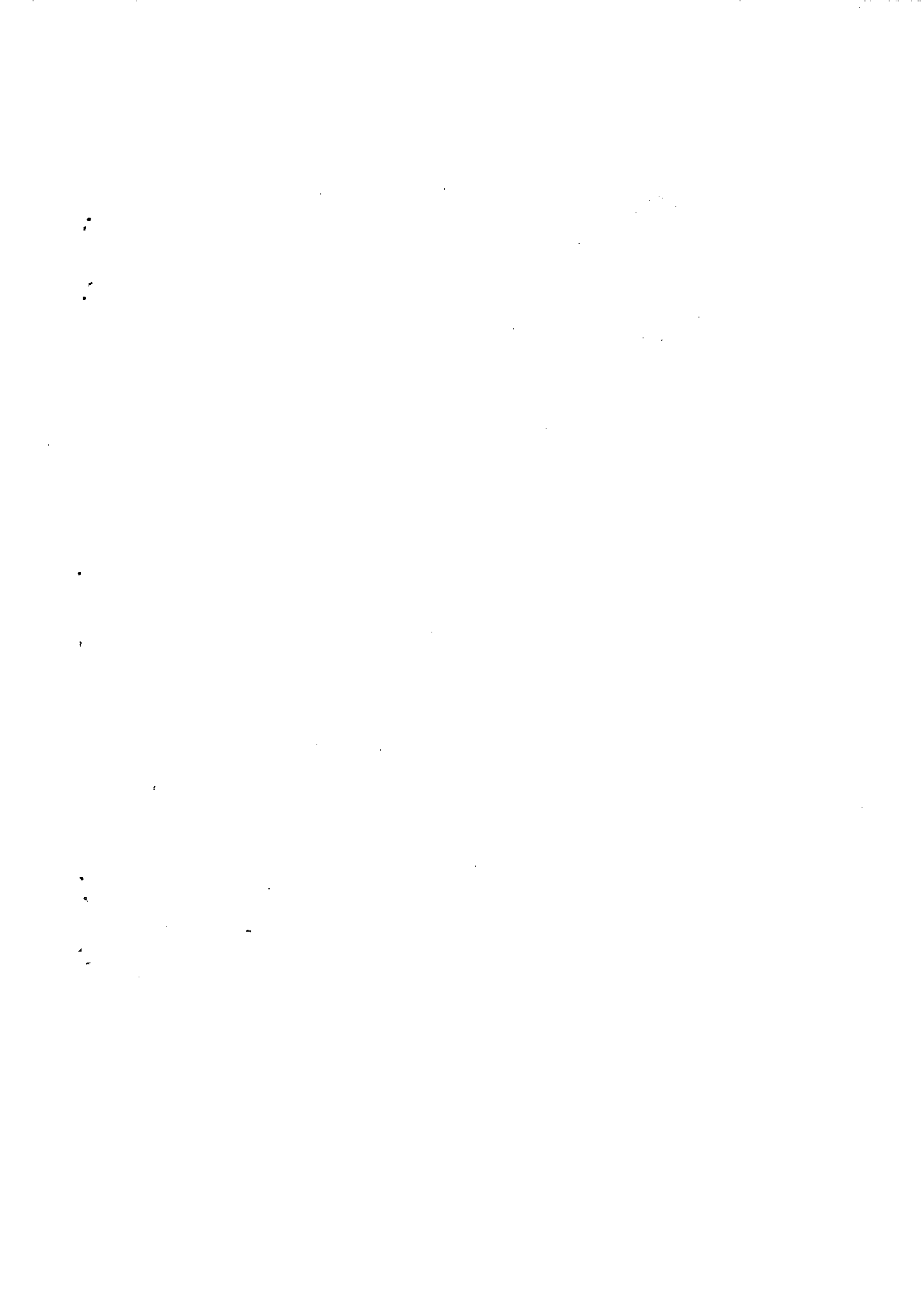
وبعد أن تصب (ننخرساگ) لعنتها هذه ، تختفي ، ثم يتقدم الثعلب نحو (انليل) قائلاً :

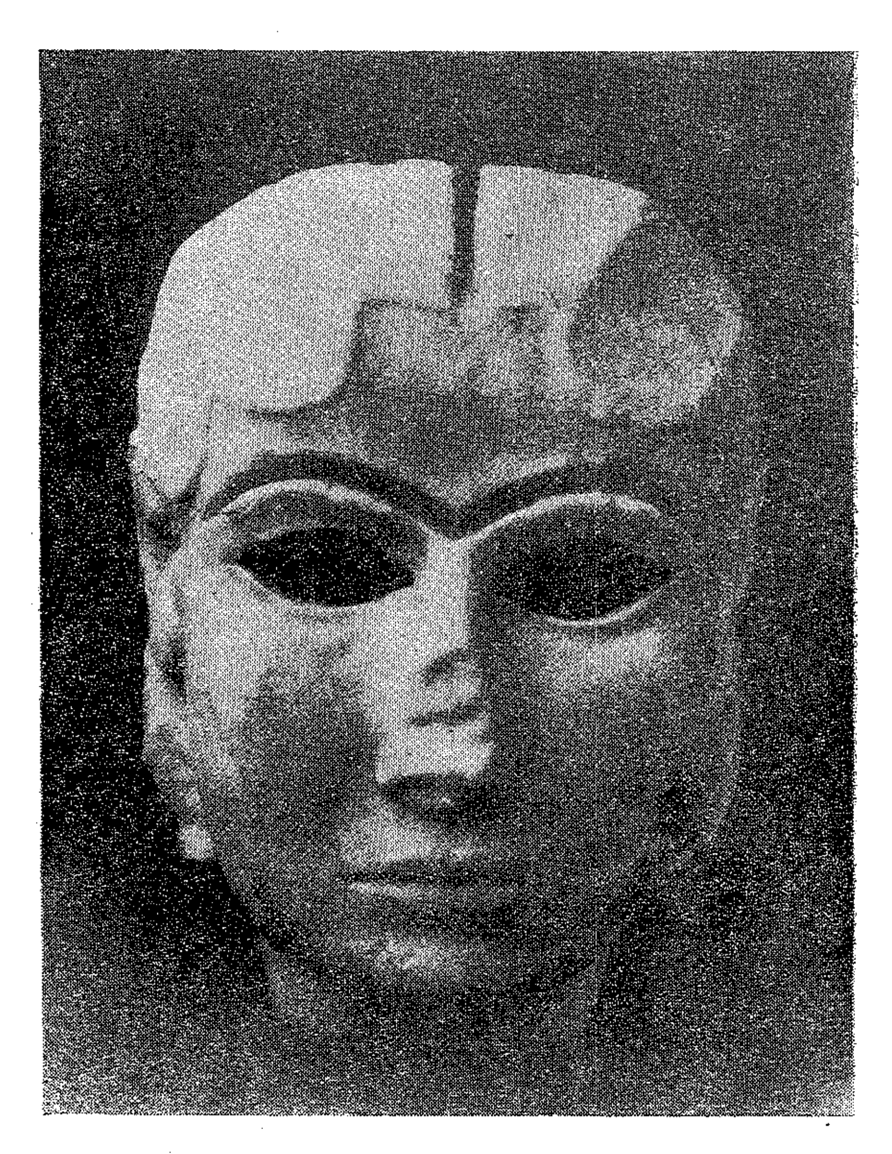
« لئن جئت بـ (ننخرساگ) لتمثل أمامك ، فبماذا ستكافئني ؟ »



شكل رقـم ـ ١ ـ

لوح سومري قديم يتضمن اسطورة خلق الانسان

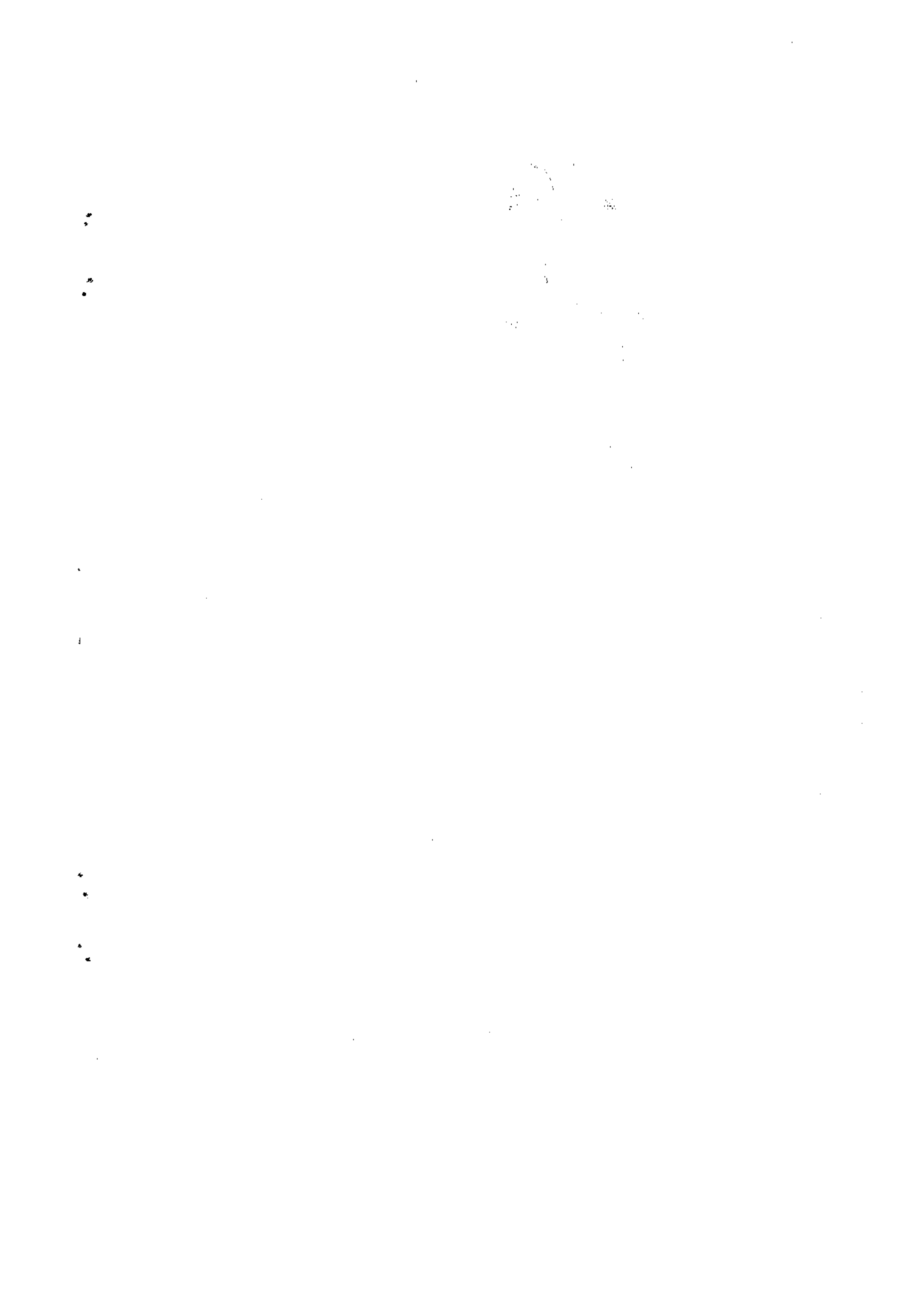


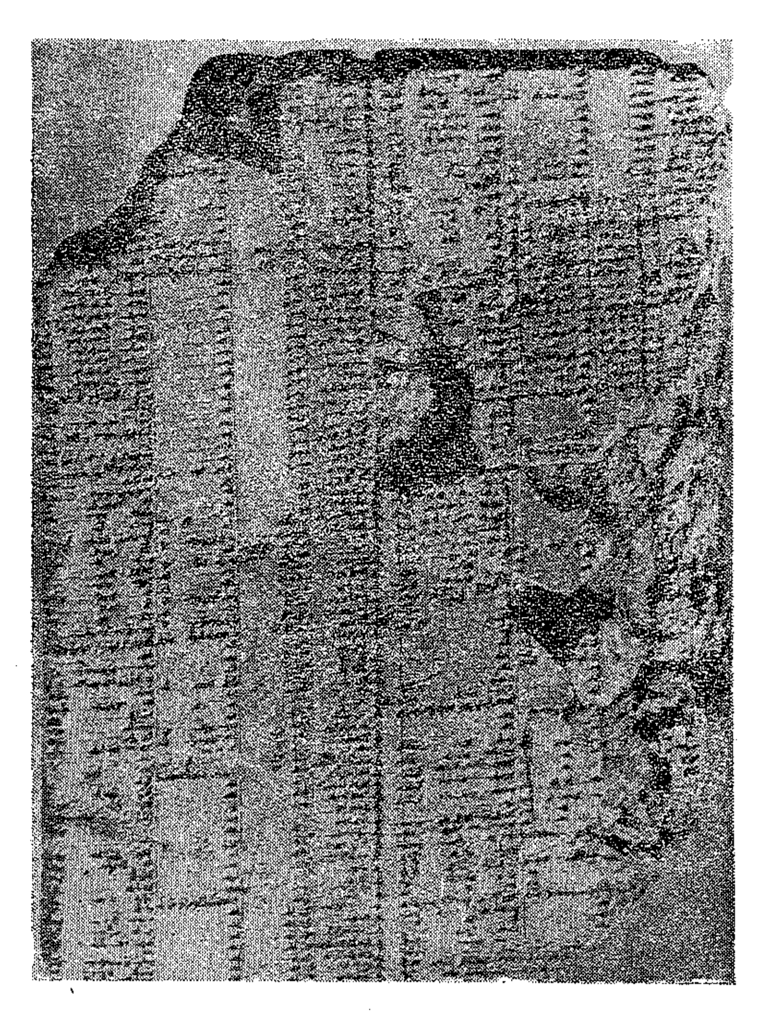


شكل رقـم ـ ٢ ـ
تمثال من الرخام الابيض يمثل رأس فتاة سومرية
(من نفائس الآثار فى المتحف العراقى)



شكل رقم ـ ٣ ـ
تمثال الكاهن السومري (دودو)
(من نفائس الآثار في المتحف العراقي)





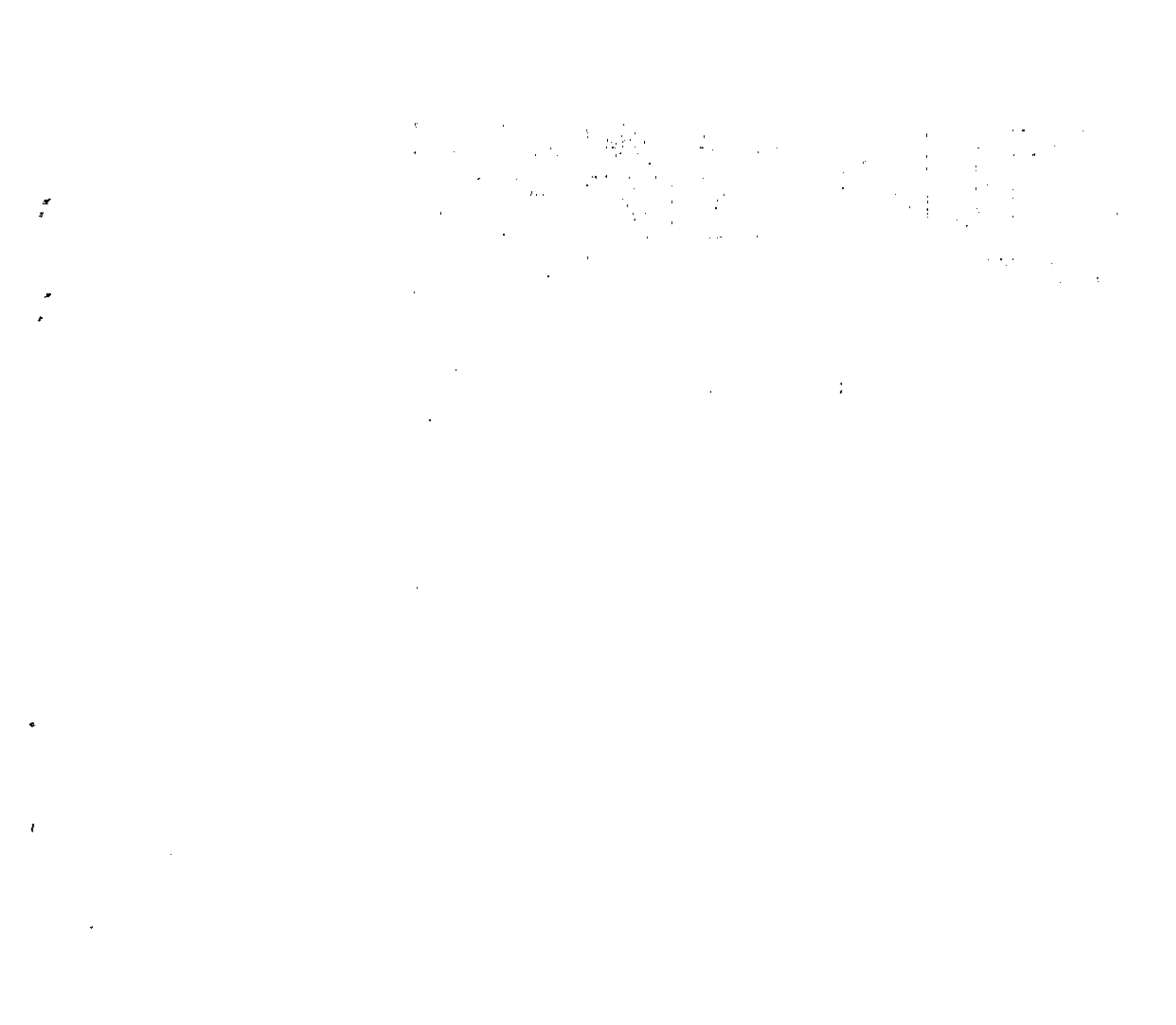
شكل رقـم ـ ٤ ـ

**معجم بابلي سومري دون في حدود
الالف الثالث قبل الميلاد**



شكل رقـم ــ ٥ ــ

جدول يوضح اصل طريقة الكتابة السومرية وتطورها
(انظر الشرح الوارد فى الملحق الخاص المتضمن
بحث اصل طريقة الكتابة السومرية وتطورها)



فيعده (انليل) بجائزة ، ويتمكن الثعلب من المجيء بها ، غير اننا لم نتمكن من معرفة كيفية قيام الثعلب بهذه المهمة لان جزءاً من النص قـد كسر وما تبقى منه سالما لا يزال غامض المعنى .

ثم تقوم (ننخرساگ) بأزالة آثار هذه اللعنة عن (انكى) الذى سرعان ما اصيب بأمراض وعلل ، وتتمكن من شفائه وذلك بأن تلد إلٰه خاصاً لكل علة اصيب بها ، وهذا المقطع الختامي من القصيدة يتضمن ما يلي :

ننخرساگ ـ يا اخى ماذا يؤلمك ؟
انـكي ـ يؤلمني ال (....؟)
ننخرساگ ـ لقد خلقت الاله (آبو) من اجلك
ننخرساگ ـ يا اخى مم تشكو ؟
انـكي ـ اشكو من الم فى الورك
ننخرساگ ـ لقد خلقت الاله (ننتول) من اجلك
ننخرساگ ـ ما الذى يؤلمك يا اخى ؟
انـكي ـ اشكو من الم فى اسنانى
ننخرساگ ـ لقد خلقت الالهة (ننسوتو) من اجلك
ننخرساگ ـ ماذا يؤلمك يا اخى ؟
انـكي ـ اشكو من الم فى فمي
ننخرساك ـ لقد خلقت الالهة (ننكاسي) من اجلك
ننخرساگ ـ ماذا يؤلمك يا أخي ؟
انـكي ـ ان ما يؤلمني هو ال (...... ؟)
ننخرساگ ـ لقد خلقت الاله (نازي) من اجلك
ننخرساگ ـ ماذا يؤلمك يا اخى ؟
انـكي ـ اشكو من الم فى ذراعي
ننخرساگ ـ لقد خلقت الالهة ـ (دازيموا) من اجلك
ننخرساگ ـ ما الذى تشكو منه يا اخى ؟

انـــكي ـ يؤلمني ضلعي
تنخرساگ ـ لقد خلقت الالهة (ننتي) من اجلك
تنخرساگ ـ يا اخي ما الذي يؤلمك ؟
انـــكي ـ اشكو من (....... ؟)
تنخرساگ ـ لقد خلقت الاله (انشاگاگ) من اجلك
تنخرساگ ـ وهؤلاء الصغار الذين ولدتهم ؟
انـــكي ـ ليكن (آبو) ملكا للنباتات

ليكن (ننتول) اله الـ (ماغان)
لتتزوج (ننسوتو) من (نينازو)
لتكن (تنكاسي) (الالهة التي) تشبع شـهوة القلب
ليتزوج (ننتي) من(ننكيشزيدا)
لتكن (ننتي) ملكة الشهر
ليكن (انشاگاگ) ملكاً على دلمون
سبحان الاب (انكي) !

× × × ×

وهكذا نجد (انكي) الذى اصيب بثمانية امراض عقاباً له على اكله النباتات الثمانية ، يشفى من هذه الامراض اثر ولادة (ننخرساگ) ثمانية آلهة ، اضف الى ذلك ان التصورات التى تضمنها هذا المقطع من الاسطورة قد وردت باسلوب سطحى لا يخلو من تكلف ظاهر ، رغم ان هذا الاسلوب لم يرد فى الترجمة الانكليزية للنص ، الا انه يبدو واضحاً بجلاء تام فى الاصل السومرى ، وسبب ذلك يعود الى ان العلاقة الفعلية بين كل الـــه شاف وكل مرض يشفيه هذا الاله ، انما هى علاقة لفظية واسمية فحسب وتتضح فى حقيقة كون اسم الاله بجملته او قسم منه ، يدل على ما يماثله من الجزء المريض فى جسم (انكي) ، وخلاصة القول ، لما كان اسم الاله

يلفظ بنفس اسم العضو المريض فى الجسد ، فأن واضعى هذه الاسطورة تكلفوا ايجاد علاقة ما بين هذين الاسمين ، ولكن فى الحقيقة ليس ثمة علاقة اساسية بينهما •

انكي وسومر

تنظيم الارض ونشوء الثقافة فيها

يتضمن هذا الموضوع تفاصيل وافية عن النشاطات التى يمارسها اله الماء (انكي) ، اله الحكمة السومرى حيث ينصرف الى تنظيم شؤون الارض وتأسيس القوانين والنظم فيها • والجزء الاول من قصيدتنا يتألف من قرابة مئة سطر وهو بحالة مهشمة جدا بحيث يصعب اعادة تركيب مضمونه ، اما الجزء الآخر وهو الذي نستطيع فهم محتوياته ، فنجد (انكى) يقدر مصير سومر على النحو التالى :

يا سومر ! ايها البلد العظيم ، يا اعظم بلد فى العالم

لقد غمرتك الاضواء المستديمة ، والناس من مشرق الشمس الى مغربها ، هم طوع شرائعك المقدسة

ان شرائعك سامية لا يمكن ادراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر اغواره

ان •••••• كالسماء لا يمكن بلوغها

الملك الذى تلده يزين نفسه بالحلى الدائمية

الرب الذى تلده يضع التاج على الرأس

ربك هو رب معظم ، مع (آن) يجلس فى المكان المقدس فى السماء •

الملك هو الجبل العظيم ، هو الاب (انليل)

وهو مثل •••••• اب البلدان جميعها

ألانوناكى ، الآلهة العظام

في وسطك اتخذوا محل سكناهم
في بستانك الكبير ، يأكلون طعامهم
ايه يا دار سومر ! عسى ان تكثر اسطبلاتك ! عسى ان تكثر ابقارك .
عسى ان تزداد زرائبك ! عسى ان تكثر اغنامك بحيث لا يمكن ان
تعد ولا تحصى !
عسى ان .... يجلس
عسى ان .... الراسخ يرفع يده الى السماء
عسى ان تقدر الانوكاكي المصائر في وسطك

× × × ×

ثم يذهب (انكي) الى (اور) التي كانت ولاشك عاصمة سومر في الوقت الذي نظمت فيه هذه القصيدة ، ويقدر مصيرها :

لقد جاء الى (اور)
(انكي) ملك الماء الذي لا يسبر غوره ، وقدر مصيرها
ايتها المدينة التي ازداد طعامها
وغسلت بالوفير من المياه ووقفت كالثور الراسخ
يا دار الرخاء المقدسة على وجه الارض
ايتها المتضرعة ، انك خضراء كالجبل
انها الغابة (هاشور) الوارفة الظلال ، ...... البطولية
هو الذي قدر مصيرك على احسن وجه
(انليل) ، الجبل العظيم ، هو الذي لفظ اسمك المقدس
ايتها المدينة التي قدر مصيرها (انكي)
ايتها البقعة المقدسة ، يا (اور)
لتشمخي برأسك نحو السماء

× × × ×

ثم يأتي (انكى) الى (ملّوخا) ، الجبل الاسود ، ومن المحتمل انه يقع على الساحل الغربى من افريقيا ، ومما يدعو الى الغرابة ان نجد موقف (انكى) ازاء هذا البلد ودياً للغاية كما هو موقفه ازاء سومر بالذات • ثم يبارك اشجارها واحراش قصبها وثيرانها وطيورها وفضتها وذهبها وبرونزها ونحاسها وما فيها من مخلوقات بشرية •

ثم يذهب (انكي) الى نهري دجلة والفرات فيملؤهما بمائه الرقراق ويوكل الى الاله (أنبيلولو) (العارف) بشؤون الانهار ، حمايتها ، ثم يملأ (انكى) الانهار بالاسماك ويجعل (ابن كيش) مسؤولا عنها •

ثم يذهب الى (الخليج العربى) ليقرر النظام له ، ويعهد الى الاله (سيرار) بحمايته •

ثم يستدعي الرياح ويولي عليها الاله (اشكور) المسؤول عن حماية (القفل الفضى) ل (قلب السماء) ، ثم يرد بعد ذلك ذكر المحراث والفدان والحقل والخضار على النحو التالى :ــ

هو الذى ادار شؤون المحراث والفدان

الامير العظيم (انكي) هو الذى جعل الـ •••• الثور أن •••

الذى غنى طربا من اجل الغلة الطاهرة

وفى الحقل الوطيد الاركان ، هو الذى جعل الغلة تنمو

الرب ، هو جوهرة السهل وزينته

الـ •••••• الفلاح (انليل)

(انكميدو) الذى عينه لرعاية شؤون القنوات والجداول

الرب الذى نادى على الحقل الراسخ ، هو الذى جعله ينتج المزيد من الغلة •

(انكى) هو الذى جعل (الغلة) تدر بالباقلاء الصغيرة والباقلاء الكبيرة

ال ...... الغلة هو الذى كرسها فى الاهراء

(انكى) اضاف اهراء الى اهراء

مع (انليل) جعل الوفرة فى الارض التى رأسها ... ووجهها ...

السيدة التي ...... قوة الارض والمعين الاساسي للناس من ذوي الرؤوس السود

(اشنان) قوة كل الاشياء ، عينها (انكى) لحماية تلك الاشياء .

× × × ×

ثم يلتفت (انكى) الى الفأس وقالب الآجر ، ويعين الـه الآجـــر (كبتا) مسؤولا عنهما ، يحدد نوعية اعمال اداة البناء التى تسمى (گوگن) ويضع اسس المبانى ويشيد الدور ويعين (مشدما) (بناء انليــل العظيم) مسؤولا عن شؤونها .

وبعد ذلك يملأ السهول بالنباتات والحيوانات ويجعل (سمگان) (ملك الجبل) مسؤولا عن رعايتها ، واخيرا يقوم (انكي) ببناء الاسطبلات وزرائب الغنم ويملأها باللبن والسمن ويجعلها تحت رعاية الاله الراعى (دموزى) ، وما تبقى من النص مهشم ولا نعلم كيف تنتهى القصيدة .

انكي واريدو

رحلة اله الماء الى (نفر)

كانت مدينة (اريدو) من اقدم السومرية واجلها شأناً ، وتقع اطلالها تحت تل (ابو شهرين) ، ولو اجريت فى هذا الموقع المهم تنقيبات اثريــة على نطاق واسع ، لكانت حصيلة ذلك ، فى اغلب الظن ، معلومات قيمة جدا عن ثقافة سومر وحضارتها وما يتصل بها فى المجالات الروحية .

كانت (اريدو) طبقا لاحد التقاليد السومرية ، أقدم مدينة في سومر واولى خمس مدن وجدت قبل الطوفان ، غير ان اسطورتنا هــذه تتضمن

القول بأن (نفر) قد سبقت (اريدو) في الوجود • وفي هذه المدينـــة (اى اريدو) التي كانت تقع في الازمنة الغابرة على الخليج العربي ، بنى اله الماء (انكي) والمعروف ايضا باسم (توديموود) ، بنى بيته البحرى :

بعد ان قدر مصير ماء الخليقة
وبعد ان ولد الاسم (هيگال) (الوفرة) في السماء
وكسى الارض بغطاء من النباتات والاعشاب
سيد المياه التي لا يسبر غورها ، الملك (انكى)
(انكى) السيد الذى يقدر المصائر
بنى داره من الفضة وحجر اللازورد
ان فضة الدار وحجرها اللازوردى هى كالضوء المتألق
الاب احكم بناءها في المياه التى لا يسبر غورها
(المخلوقات) الذكية الحكيمة خلقت في المياه التى لا يسبر غورها
وقفوا جميعهم حول السيد (نود يمود)
الدار الطاهرة التى بناها ، زينها بحجر اللازورد ، حلاهـا بالذهب الوفـــير
في (اريدو) بنى دار شاطئ الماء
الآجر فيها يلفظ الكلمات ، ويسدى النصح
ان •••• يشبه خوار الثور
ان دار (انكى) تنطق بوحي من الرب

× × × ×

ويلى ذلك مقطع مطول يرد فيه ذكر (ايسمد) ، رسول (انكى) الذى يرتل صلاة (دار البحر) ثم يرفع (انكى) مدينة (اريدو) مـــن المياه التى لا يسبر غورها ويجعلها عائمة على وجه الماء كأنها الجبل الشامخ•

وبساتينها الخضراء الوفيرة الاثمار ، يملأها بالطيور والاسماك ويغدق عليها نعمه الوفيرة ، ثم يتخذ (انكى) قارباً يسافر به الى (نفر) ويطلب من (انليل) ان يبارك مدينته ومعبده ، ثم يخرج من المياه التى لا يسبر غورهـا :ـ

حينما ينهض (انكى)، الاسماك ... تنهض
وتقف المياه التى لا يسبر غورها بعجب واستغراب
المسرة تدخل الى البحر
الرعب يتسرب الى الاعماق
الذعر ، يسود النهر العظيم الشأن
ريح الجنوب ، تحمل امواج نهر الفرات

× × × ×

ثم يركب (انكي) زورقه متجهاً الى (اريدو) ، ثم يذبح القرابين المؤلفة من بضعة خراف وثيران ، وبعد ذلك يتوجه الى (نفر) ، وحـال وصوله يقدم للآلهة ، و (انليل) بوجه خاص ، شتى انواع الخمور ثم :ـ

(انكى) فى (نفر) الموضع المقدس
يقدم الى أبيه الخبز ليأكله
لقد اجلس (آن) ، (الهة السماء) فى المحل الاول
واجلس (انليل) بجوار (آن)
و (نينتو) اجلست فى الجانب الكبير
و (الانوناكى) ، جلسوا الواحد خلف الآخر

* * *

ثم تبتهج الآلهة وتفرح الى ان تصبح قلوبها (طيبة) ، ويتهيأ (انليل) لاعلان بركته :

يقول (انليل) للانوناكي

أيتها الآلهة العظام ، يامن تقفون حولى

لقد بنى ولدي داراً ، الملك (انكي)

(اريدو) ، رفعها من الارض كأنها الجبل

لقد بناها فى مكان جيد

(اريدو) المحل النظيف ، التى لا يسمح لاحد بأقتحامها

الدار التي بنيت بالفضة وزينت بحجر اللازورد •

الدار التي تحميها تعويذة هي سبعة اناشيد تعزف على القيثار بأنغام عذبــــة •

المياه التي لا يسبر غورها ، الموضع المقدس للآلهة (انكي) التي تقدر المصائر المقدسة •

لقد بنيت (اريدو) دار الصفاء

سبحان انكي !!

انانا وانكي

نقل فنون الحضارة من (اريدو) الى (ارك)

ان هذه الاسطورة الشيقة ، والقصة الممتعة ، تدور حـول (انانا) ملكة السماء و (انكي) ، سيد الحكمـة ، وتتسـم بأهمية كبيرة بالنسبـة لدراسة تاريخ التطور الحضارى، ذلك لانها تضمنت قائمة ورد فيها ما يزيد على مئة مرسوم مقدس لتنظيم جميع المنجزات الثقافية التي وضعها الكتاب والمفكرون السومريون ، وهذه القائمة ، على ما تضمنته من تحليل سطحي ، قل أو كثر ، فأنها تؤلف السدى واللحمة فى نسيج الحضارة السومرية •

ان احدى الكسرات التى تضمنت جزءاً من هذه الاسطورة والموجودة فى متحف الجامعة فى فيلادلفيا ، سبق نشرهـا من قبل (ديفيد • دبليو •

مهرمن) في مطلع عـام ١٩١١ ، وبعد ثلاثة اعوام نشـر (آرنو بوبيل) لوحاً آخر من مجموعة متحف فيلادلفيا تضمن جزءاً من موضوع هـذه الاسطورة ، وهو لوح كبير وبحالة جيدة يحتوي على ستة حقول ، وقـــد كسرت الزاوية اليسرى العليا منه ولحسن الحظ اني تمكنت من العثور على هذه الكسرة في عام ١٩٣٧ في متحف الشرق القديم في (اسطمبول) وذلك بعد ثلاث وعشرين سنة •

وفي مطلع عام ١٩١٤ ، تم استنساخ ونشر جزء كبير من الاسطورة، ولم تجر محاولة لترجمتها طيلة هذه الاعوام لانها كانت تبدو بشكل غير مترابط الاجزاء او انهـا كانت تفتقر الى وضوح ما هيـــة الاحداث التي تناولتها • وفي عام ١٩٣٧ وجدت في اسطمبول قطعة صغيرة تمكنت مـــن استنساخها ، وقـــد زودتني هـذه القطعة بالحلقة المفقودة من الاسطورة. وبذلك اصبح في الامكان معرفة احداث هذه القصة على الوجه التالي :

كانت (انانا) ملكة السماء ، والهة (ارك) بأجمعها متلهفة على توفير المزيد من النعمة والرخاء في مدينتها لتجعلها مركزاً للحضارة السومرية ثم تطلق عليها اسمها وشهرتها ، ولاجـل ذلك صممت عـلى الذهاب الى (اريدو) ، موطن الحضارة السومرية القديمة ، ومدينة (انكي) سـيد الحكمة و (المطلع على ما في أعمـاق قلوب الآلهـة) والذي يسكن في (الآبزو) (أي المياه التي لا يمكن سبر غورها) والذي تصدر عنه جميع المراسيم المقدسة ذات الاهمية الكبيرة بالنسبة للحضارة ، فأذا تمكنت (انانا) من الحصول على هذه المراسيم بطريقة ودية أو غير ودية ، والمجيء بها الى مدينتها المحبوبة (ارك) حينئذٍ تحصل هي ومدينتها على مجد لا يداني •

وعندما تقف (انانا) أمام (الابزو) في مدينة (أريدو) ، يقف (انكي) مذهولا بسحر جمالها ويستدعي رسوله (ايسمد) قائلا :ــ

هلم يا رسولي (ايسمد) ، اصغ لأوامري

سأقول لك كلمة فأعمل بما أقوله لك

ان العذراء وحدها توجهت بخطاها نحو (الآبزو)

(انانا) وحدها ، توجهت بخطاها نحو (الآبزو)

ادخل العذراء الى (آبزو) (اريدو)

ادخل (انانا) الى (آبزو) (اريدو)

اعطها لتأكل كعك الشعير مع الزبد

قدم لها ماءً مبرداً لينتعش قلبها

قدم لها لتشرب خمرة التمر في (وجه الاسد)

••••• اليها ، •••••• اعمل لها •••••

على المائدة المقدسة ، مائدة السماء

★ ★ ★

وينفذ (ايسمد) أوامر سيده بحذافيرها وتجلس (انانا) مع (انكى) لينعما بالمسرات والافراح وبعـــد أن تلعب الخمرة في رأســيهما ، يهتف (انكي) قائلا :ـ

باسم قوتي ، باسم جبروتي

اقدم لابنتي الطاهرة (انانا)

السلطة •••••• ال •••• الالوهية ، التاج المقدس وعرش الملوكية العظيمين •

خذيها يا (انانا) الطاهرة

باسم مقدرتي ، باسم سلطاني

الصولجان العظيم ، العصي ، الموضع المقدس العظيم والرعاية والملوكية

خذيها يا (انانا) الطاهرة

ثم يقدم لها بدفعات متتالية ما يزيد على مئة مرسوم مقدس تعتبر أساس

الحضارة السومرية وعنوان ثقافتها •

واذا علمنا بأن هذه الاسطورة قد كتبت منذ الفي عام قبل الميلاد ، وان الآراء والتصورات التي تضمنتها كانت ولا شك معروفة قبل هــذا التاريخ ببضعة قرون ، فليس من المبالغة القول بأنه ليس ثمــة حضــارة ، بأستثناء الحضارة المصرية ، يمكن مقارنتها من حيث قدمها ونوعيتها بالحضارة السومرية المتطورة •

ومن ضمن هذه المراسيم المقدسة التي قدمها (انكي) الى (انانا) ما يلي :ـ

(السيادة) (الالوهية) (التاج العظيم الخالد)(عرش الملوكية) (الصولجان العظيم) (الموضع المقدس العظيم) (الرعاية) (الملوكية) (الوظائف الكهنوتية المتعددة) (الحقيقة) (الصدق) (الهبوط الى العالم الاسفل والصعود من العالم الاسفل) (الراية) (الطوفان) (المضاجعة الجنسية والبغاء) (الكلام المشروع والكلام البذيء) (الفن) (غرف العبادة المقدسة) (البغي المقدسة التي تخدم هيكل السماء) (الموسيقى) (الكهولة) (البطولة والقوة) (العداوة) (الاستقامة) (تدمير المدن والرثاء) (أفراح القلب) (التزوير) (البلد الثائر) (الصلاح والعدل) (صنعة النجارة) (صنعة المعادن) (الكتابة) (الحدادة) (صنعة الجلود) (البناء) (حياكة السلال) (الحكمة والفهم) (الضجر) (صرخة النصر) (المشورة) (القلب المهموم) (الحكم والقرار) (الغزارة) (الادوات الموسيقية) •

وتتسلم (انانا) بسرور بالغ الهدايا التي قدمها لها والدها الثمــل (انكي) وتضعها في (زورق السماء) وتسير متجهة نحو (ارك) ومعها حملها الثمين •

وبعد أن يستيقظ (انكي) من غفوة لذائذه وأفراحـه ، يجـد ان المراسيم المقدسة قد أخذت من محلها المعتاد ، فيسأل (ايسمد) عما جرى لها ، فيجيبه بأن (انكي) نفسه هو الذي قدمها الى ابنته (انانا) فيأسف (انكي) أشد الاسف على سخائه وكرمه ويبعث برسوله (ايسمد) مع مجموعة من الحيوانات المتوحشة للحاق بـ (انانا) وزورقها ومقابلتها في أول منطقة من مناطق الوقوف السبع التي تقع في الطريق ما بين (آبزو) (اريدو) و (ارك) وتتمكن وحوش البحر من اسر (زورق السماء) وتضطر (انانا) الى مواصلة سفرها مشياً على الاقدام .

والمقطع التالي الذي يعتبر من نفائس الشعر الكلاسيكي ، يتضمن الاوامر التي يوجهها (انكي) الى (ايسمد) ، وحوار (ايسمد) مع (انانا) التي تواجه أباها (النادم على ما وهب) .

لقد دعا الامير رسوله (ايسمد)
(انكي) يوجه خطابه الى (اسم السماء الجليل)
يا رسولي (ايسمد) ، يا (اسم السماء الجليل)
يا ملكي (انكي) انني أقف هنا واسبح بأسمك الى الابد !
أين هو زورق السماء ؟
لقد وصل مرسى (ايدال)
اذهب ومر وحوش البحر لتأسره

* * *

فيمتثل (ايسمد) لهذا الامر ويأسر (زورق السماء)
يا مليكتي ، ان أباك قد أرسلني اليك
يا (انانا) ان أباك قد أرسلني اليك
ان أباك الذي ينطق بكلمات سامية
(انكي) الذي ينطق بكلمات سامية

ان كلماته العظيمة لا يمكن عدم الاكتراث بها

وتجيبه (انانا) المقدسة قائلة :

ماذا قال لك أبي ، بماذا خاطبك ؟

ترى ما هي كلماته السامية التي لا يمكن عدم الاكتراث بها ؟

قال لي مليكي ،

قال لي (انكي)

لتذهب (انانا) الى (أرك)

ولكن عليك ان تعيد (زورق السماء) الى (أريدو)

أجابت (انانا) المقدسة على قول الرسول (ايسمد)

لماذا عدل أبي عن رأيه ؟

لماذا أخلف وعده الحق ؟

لماذا دنس العهد الذي قطعه ؟

لقد نطق أبي بالكذب ، لقد كذب أبي

لم يصدق أبي حينما أقسم باسم قوته باسم (الآبزو) لقد اطلقت هذه الاصوات بصراحة

ان وحوش البحر قد أسرت (زورق السماء)

قالت (انانا) لرسولها (ننشوبر)

هلم يا رسول (انانا) الصادق

يا حامل كلماتي الصادقة الذي لا تضطرب يداه ولا تضطرب قدماه

انقذ (زورق السماء) والمراسيم التي اهديت الى (انانا)

لقد امتثل (ننشوبر) لامر (انانا) ، غير ان (انكي) كان مصراً على تنفيذ ما أراد ، فبعث (ايسمد) وبصحبته مختلف أنواع وحوش البحر لأسر (زورق السماء) ، فمروا بجميع مناطق الوقوف السبع التي تقع فى الطريق ما بين (اريدو) و (ارك) ، ولكن (ننشوبر) تمكن من انقاذ (انانا) وتمكنت من الوصول بسلام الى (ارك) حيث استقبلها المواطنون

بالهتافات والاحتفالات ، ثم افرغت ما في زورقها من مراسيم مقدسة •

وتنتهي القصيد بخطاب يوجهه (انكي) الى (انانا) ولكن النص مخروم ولم يتضح ما اذا كان هذا الخطاب يتسم بطابع الخصومة أو الصلح •

خلق الانسان

ان مبحث هذه الاسطورة يدور حول خلق الانسان ، وقد وجد هذا الموضوع مدوناً في نسختين متشابهتين نقشتا على لوحين احدهما وجد في (نفر) وهو الآن في متحف الجامعة ، والثاني في متحف اللوفر الذي اشتراه من احد تجار الآثار • وفي عام ١٩٣٤ تم استنساخ ونشر محتويات لوح متحف اللوفر وكذلك الجزء الاكبر من محتويات لوح متحف الجامعة ، ومع هذا فقد بقيت محتويات هذين النصين غامضة ، وسبب ذلك ان اللوح العائد لمتحف الجامعة الذي وصل الى فيلادلفيا منذ بضع عشرات الاعوام ، كان قد تكسر الى اربع قطع ، وفي عام ١٩١٩ ، امكن معرفة محتويات قطعتين منه والصقا في لوح واحد استنسخه ونشره بعد ذلك (ستيفن لانگدون) •

وفي عام ١٩٣٤ نشر (ادورد كيرا) محتويات القطعة الثالثة ولكنه اخفق في كيفية الصاقها بالقطعتين اللتين نشرهما (لانگدون) في عام ١٩١٩، على اني اذ اكتشفت هذه الحقيقة ، تمكنت من معرفة محتويات القطعة الرابعة التي لا تزال غير منشورة حتى الآن والتي تربط القطع الثلاث الاخرى ، فقد بات بمقدوري ترتيب محتويات الاسطورة على الوجه الصحيح •

ومما ينبغي الاشارة اليه بهذا الصدد هو ان ما يقرب من مئة وخمسين سطراً ، وهي التي تؤلف نص قصيدتنا ، ما زالت تحتوي على عدة خروم صغيرة في معظم سطورها ، اضف الى ذلك ان الصعوبات اللغوية التي

تضمنها هذا الموضوع تؤلف عبثاً ثقيلاً ، فقد وجدنا لأول مرة ، العديد من الكلمات التى استعصى علينا فهمها فى الادب السومرى ، ولهذا فقد احتوت الترجمة على فجوات كثيرة ملأناها بكلمات ترجمناها على سبيل الحدس والتخمين وينبغي التأكد من معناها الحقيقي ، ومع كل هذا فأن هذه الترجمة جاءت معبرة على قدر المستطاع عن اكمل صورة يمكن الحصول عليها عن التصورات التي كانت سائدة فى سومر فيما يخص خلق الانسان فى الالف الثالث قبل الميلاد .

ان من ضمن اقدم الافكار المعروفة عن خلق الانسان ، هى تلك التى أوردها العبرانيون فى (سفر التكوين) والبابليون فى (ملحمة الخليقة البابلية) .

وقد ورد فى قصة التوراة ، او فى احد اجزائها على الاقل ، ان الانسان قد خلق من الطين لكى يسود عالم الحيوانات ، اما الاسطورة البابلية فتقول ان الانسان قد خلق من دم اله قتل بسبب ما احدثه من ازعاج واضطراب وكانت الغاية الرئيسة من خلق الانسان هي القيام بخدمة الآلهة وتجنيبهم مشاق العمل للحصول على الطعام ، وتقول القصيدة السومرية التى هى اقدم من الروايتين العبرانية والبابلية بما يزيد على الف سنة ، بأن الانسان خلق من الطين كما تقول الرواية العبرانية ، اما الغاية من خلقه فهى تجنيب الآلهة مشاق العمل للحصول على الطعام كما جاء فى الرواية البابلية . تبدأ القصيدة بوصف المصاعب التي يعانيها الآلهة فى سبيل الحصول على الخبز وعلى الاخص بعد مجيء اناث الآلهة الى الوجود .

وتتلخص شكوى الآلهة فى ان (انكي) اله الماء بوصفه اله الحكمة السومري والذي كان عليه ان يساعد الآلهة ، كان يغط فى نوم عميق ولم يتمكن من سماع اصواتهم وشكاتهم ولهذا فأن امه (البحر الاول) « الام

التي ولدت جميع الآلهة » تقف امام (انكي) وقد وضعت على راحة يدها دموع هذه الآلهة ، وتقول له :

انهض يا بني من فراشك ، من .... واعمل ما هو حكيم
اخلق خدماً للآلهة لعلهم ينتجون لهم ال ....

ويتفكر (انكي) في هـذا الامر ويخلق للآلهة من يقوم بأودهم ويخاطب امه (نامو) (البحر الاول) قائلاً :

ان المخلوق الذي لفظت اسمه قد جاء الى الوجود
اوثقيه بـ .... الآلهة .
امزجي لب الطين الموجود في أعلى المياه التي لا يسبر غورها
الصناع المهرة ، سيجعلون الطين مختمرا
وانت عليك ان تخلقي له الاعضاء
(ننماخ) الهة أم الارض ستعمل من فوقك
(الهة الولادة) ستقف الى جانبك حينما تخلقين
اماه ! قدري مصيره (مصير المولود الجديد)
(ننماخ) سترتبط به .... للآلهة
كأنسان .

ويلي ذلك بضعة اسطر مكسورة قد تزودنا بمعلومات قيمة جداً اذا ما تم اصلاحها ، ثم تمضي القصيدة بوصف مأدبة يقيمها (انكي) احتفالاً بمناسبة خلق الانسان ، ويحتسي كل من (انكي) و (ننماخ) المزيد من النبيذ ويثملان ، وتتناول (ننماخ) بعض الطين الموجود في أعلى الماء الذي لا يسبر غوره وتخلق منه ستة أشخاص باشكال مختلفة في حين ان (انكي) يقوم بتقدير مصائرهم ويطعمهم الخبز ، ولم تتضح هوية هؤلاء الاشخاص الستة عدا الاثنين الاخيرين منهم وهما (المرأة العاقر) و (الرجل الخصي)، لقد تضمنت تلك السطور ما يلي :

لما رأى (انكي) الامرأة التى لا تستطيع ان تلد
قدر مصيرها وجعل مأواها (دار النساء)

(ننماخ) ! لقـــد صنعت الـ ••••• بشكل انسان لا يملك عضو
الذكر ولا عضو الانثى

وحينما رأى (انكي) ذلك الانسان الذى لا يملك عضو الذكر ولا
عضو الانثى

قدر مصيره وجعله فى خدمة الملك •

وبعـد ان خلقت (ننماخ) هذه الاشـكال الستة من البشر ، قـرر (انكي) ان يقوم هو الآخر بخلق من يشاء ، غير ان السبيل الذى سلكه فى عملية الخلق هذه غير واضحة ، ومهما كان شأنها ، فأن حصيلة هـــذه العملية كانت مخيبة للظن ، فقد كان المخلوق ضعيف البنية ومشوه الجسم والروح ولهذا السبب أصبح (انكي) بأمس الحاجة الى (ننماخ) لتقدم العون الى هذا المخلوق التعس ، وهكذا خاطبها قائلاً :ـ

ان من خلقته يداك ، انا الذى قدرت مصيره
واعطيته الخبز ليأكل
فقدري مصير من خلقته يداي
واعطه الخبز ليأكل •

وتحاول (ننماخ) مساعدته ولكن دون جدوى ، فقد كلمته وأخفق فى اجابتها ، واعطته خبزاً ليأكل فلم يمد يده لتناول الخبز ، انه لا يستطيع الجلوس ولا الوقوف او الانحناء على ركبتيه ، وبعد ذلك يرد حوار مطول بين (انكي) و (ننماخ) ، ولكن النص مكسور فى هذا الموضع ويتعذر معرفة مضمونه •

وأخيراً يتضح بأن (ننماخ) تعنف (انكي) لخلقـه هـذا المخلوق

المريض الفاقد الوعي ويتقبل (انكي) هذا التعنيف الذى يستحقه •

وبالاضافة الى القصيدة التى تضمنت موضوع الخلق الآنفة الذكر ، فثمة بحث مفصل حول الغرض الذى خلق الجنس البشري من اجله وقد ورد ذلك فى مقدمة اسطورة الماشية والغلة وهي تنص على انه بعد ان ولد (الانوناكي) (آلهة السماء) ، لم يكن ثمة وجود للماشية والغلة ولهـــذا السبب فأن الآلهة لم تكن لتعلم شيئاً عن أكل الخبز وارتداء الثياب ، وقد تم خلق (لاهار) اله الماشية و (اشنان) الهة الغلة فى غرفة الخلق الكائنة فى السماء ، غير انها بقيت جائعة ، حينئذٍ اعطي الانسان (نفس الحياة) ليقوم عـــلى خدمة زرائب الغنم و (الاعمال الخيرة النافعة) للآلهة وقـــد تضمنت هذه المقدمة ما يلي :ــ

بعد ان خلق (آن) اله السماء ، الانوناكي (اتباعه)
بعد ان خلقهم على جبل السماء والارض
لأن الاسم (اشنان) (الهة الغلة) لم يكن قد خلق ولم يكن قــد تجسد •
ولأن (اوتو) الهة النبات لم تكن قد خلقت
ولم يخصص للآلهة (اوتو) ارض للعبادة
ولم يكن ثمة شاة أو حمل
ولم تلد النعجة الحملين
ولم تلد المعزاة الجداء الثلاثة
لأن (الانوناكي) لم يكونوا قد عرفوا اسم (اشنان) الحكيمة واسم (لاهار) إلـه الماشية
وان الـ •••••• غلة الثلاثين يوما لم تكن فى الوجود
وان الـ •••••• غلة الاربعين يوما لم تكن فى الوجود
وان الحبوب الصغيرة ، غلة الجبل ، غلة المخلوقات الحيــة الطاهرة

لم تكن موجودة

ولأن (اوتو) لم يكن قد ولد

ولأن تاج (الخضار) لم يكن فى الحياة

لأن الرب ...... لم يكن قد ولد

لأن (سمگان) اله السهل لم يكن قد ولد كما ولد الجنس البشري لاول مرة

و (الانوناكي) لم يعرفوا شيئاً عن اكل الخبز

ولم يعرفوا شيئاً عن ارتداء الثياب

لقد اكلوا النباتات بأفواههم كما تفعل الخراف

وشربوا الماء من البرك

وفى تلك الايام ، فى غرفة الخلق التابعة للآلهة

فى بيت (الدلكوگ) خلق (لاهار) و (اشنان)

انتاج (لاهار) و (اشنان)

من لبن زرائبهم النقي ...... والاشياء المفيدة

يشرب (الانوناكي) (الدلكوگ) ولكنهم لا يرتوون

من اجل الاشياء الخيرة المفيدة ، فى زرائبهم الطاهرة

اعطي الانسان نفس الحياة .

وباسطورة خلق الانسان نختتم دراستنا للنظريات والتصورات التي استنبطها السومريون لايضاح اصل الكون وفلسفة الكائنات ووجود الآلهة والانسان .

وليس فى الامكان القول بأن فلسفة نشوء الكون عندهم هي ضرب من الآراء البدائية ، مهما بلغ قدمهـــا ، ذلك لأنهـــا تمثل مدارك المفكر السومري ونضوج آرائه وتأملاته فى قوى الطبيعة وفى خصائص وجوده فى هذا الكون .

وعند تحليل هذه الآراء وازالة المسحة اللاهوتية عنها وازاحة غشاء تعدد الآلهة الذى يبرقعها ، (رغم ان ذلك من الامور الصعبة فى الوقت الحاضر بسبب قلة المصادر المادية لدينا وتعذر فهم وترجمة محتوياتها على الوجه الصحيح) ، يتضح لنا ان تصورات الخليقة لديهم تدل على ذهنية تمتاز بدقة الملاحظة والقابلية على الاستقراء والاستنتاج من المقدمات الملاحظة المحسوسة ، ولهذا السبب وجرياً على الطريقة العقلية ، نقول بأن التصورات والمدركات الذهنية عند السومريين فيما يتصل بنشوء الكون تتلخص فيما يلي :ـ

١ ـ في البدء كان (البحر الاول) ولا يستبعد ان السومريين كانوا يعتقدون بأن هذا البحر الاول يتصف بالسرمدية والازلية ٠

٢ ـ ان (البحر الاول) هو السبب فى وجود السماء والارض متحدتين ٠

٣ ـ كانوا يتصورون الارض والسماء كعنصرين صلبين ، وان العنصر الغازى الموجود بينهما ، أي الهواء ، قد تولد منهما وان الميزة الاساسية التي يتسم بها الهواء هي التمدد ، ولهذا السبب فان انفصال الارض عن السماء كان بنتيجة هذا التمدد ٠

٤ ـ لما كان الهواء اخف وزنا واقل كثافة من السماء والارض ، فقد تولد عنه القمر ٠

ولعل القوم كانوا يعتقدون بأن القمر قد تكون من نفس المادة التى تكون منها الهواء ، ويعتقدون ايضا بأن القمر ولد الشمس بنفس الاسلوب الذى تولد به هو عن الهواء ٠

٥ ـ وبعد انفصال السماء عن الارض تحقق امكان وجود النبات والحيوان والحياة البشرية على وجه الارض وكانوا يعتقدون بأن الحياة قد تكونت بنتيجة اتحاد الهواء والارض ولعل الشمس أيضا كانت من

ضمن هذه العناصر[٤] .

ولسوء الحظ ان المصادر الموجودة لدينا ، لا توفر لنا المعلومات التى تتصل بشؤون النباتات والحيوانات وتكاثرها على وجه الارض .

والآن لو حولنا صيغة هذه التصورات العقلية السومرية ووضعناها فى صيغة مصطلحات دينية لاتضح لنا :ـ

١ ـ فى البدء كانت الالهة (نمو) وهذا يعتبر تجسيدا للبحر الاول .

٢ ـ ان الالهة (نمو) ولدت الاله (الذكر) (آن) اله السماء والالهه (كي) الهة الارض .

٣ ـ بنتيجة اتصال (آن) و (كي) ولد اله الهـواء (انليـل) الذى تسبب فى فصل (آن) (ابو السماء) عن (كى) (ام الارض) .

٤ ـ حينما وجد (انليل) (اله الهواء) نفسه فى ظلمـة حالكة تحف بارجاء السماء (وربما كان السومريون يعتقدون بأن السماء مكونة من حجر اللازورد ذي اللون الاسود الداكن) وهو يقوم ببناء سقفـه وجدران داره التى كان وجه الارض بمثابة ارض فناء تلك الدار ، فقد ولد الاله القمر (ننا) ليضيء ظلام داره ، كما ان اله القمـر (ننا) ولد بدوره (اوتو) الذى اصبح اكثر لمعانا من ابيه القمر . يتضح لنا من ذلك بأن الرأى القائل بأن الابن (المولود) هو اقوى من الأب (الوالد) ، انما هي حقيقة واقعة تتمثل فى عملية التطور التى اصطلحنا على تسميتها بعملية ارتقاء الجنس البشرى وهو من

---

(٤) يكمن هذا التصور فى اساس النظرية التى قـال بهـا الفيلسوف اليونانى (انباذوقلس) فى القرن الخامس قبل الميلاد حول العناصر الاربعة وهى الماء والارض والنار والهواء ، وتنص هذه النظرية على ان الموجودات تتكون باختلاط هذه العناصر وتفنى بأنفصالها .
(المترجم)

الآراء الاصيلة في المعارف الفلسفية والنفسية التي نبعت في الشرق الادنى • ومن الامثلة على ذلك هو ان (انليل) اله الهواء قد اصبح خلال العصور التاريخية اقوى من ابيه (آن) اله السماء وكذلك نجد في العصور التي تلت ذلك ان (مردوخ) اله البابليين الساميين قد اصبح اقوى من ابيه (انكى) (اله الماء) وفي المعتقدات المسيحية يغدو المسيح (الابن) في معظم الاحوال ، اكثر اهمية وصلة بالانسان وخلاصه ، من (الرب) •

٥ ـ يتحد (انليل) اله الهواء بأمه (كي) (الهة الارض) ومن اتحادهما هذا وبمساعدة (انكى) (اله الماء) تتكون الخضار والحيوانات ، اما الانسان ، فيبدو انه كان حصيلة الجهود المشتركة التي بذلها كل من الالهة (نمو) (البحر الاول) والالهة (ننماخ) التي تدعى (كي) (ام الارض) و (انكي) إلـه الماء غير اننا لم نستطع معرفة كيفية بذل هذه الجهود المشتركة لصعوبة الحصول على معلومات كافية من مصادرنا الحالية •

وبصرف النظر عن سطحية المقدمات المنطقية التي تستند اليها الآراء التي اسلفنا ذكرها ، فلدينا جميع الاسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن ثمة منطقا صحيحا يدعمها وانها ليست من قبيل العبث او الخيال •

الفصل الثالث

اساطير (كور)

من المباحث الخاصة بالمعتقدات والتصورات التي يصعب جدا تحديد مدلولاتها وترجمتها ، ما نجده متمثلا بالكلمة السومرية (كور) التي تعني بالدرجة الاولى (جبل) وهذا المعنى يعتمد في الواقع على العلامة التي تمثلها في كتابة الرمز التصويري والتي تمثل (الجبل) فعلا ، وقد تطور معنى كلمة (الجبل) فأصبحت تعني (البلاد الأجنبية) لأن السكان الجبليين المتاخمين لسومر كانوا يؤلفون خطرا دائميا بالنسبة لسكان سومر • وتعني كلمة (كور) ايضا (الارض) بصورة عامةوقد وصفتسومر على انها (كورگال) اي (الارض العظيمة) ، اضف الى ذلك ، ان هذه الكلمة تتضمن مدلولا كونياً ، ذلك لانها تشابه الى حد معين معنى كلمة (كي گال) السومرية والتي تعني (العظيم الاسفل) وهي بهذا المعنى تطابق معنى كلمة (العالم الاسفل) •

والحقيقة ان قصيدة (هبوط انانا الى العالم الاسفل) وكذلك قصيدة (گلگامش وانكيدو والعالم الاسفل) تضمنتا كلمة (كور) للدلالة على معنى (العالم الاسفل) ، وتعني هذه الكلمة في بحوث المعتقدات الكونية ، الفراغ الكائن ما بين قشرة الارض والبحر الاول •

ومن المحتمل ايضا ، ان المخلوقات المتوحشة التي كانت تعيش في قعر (العظيم الاسفل) ، اطلق عليها اسم (كور) ولئن صح ذلك فأن هذه المخلوقات تشابه الى حد معين (تيامات) البابلية • وقد ورد ذكر كلمة (كور) بمدلولها الكوني في اسطورة واحدة او اكثر من (اساطير كور) •

هلاك كور وذبح التنين

لقد مضت قرابة نصف قرن منذ ان اصبحت ملحمة الخليقة البابلية فى متناول العلماء والناس الآخرين ، وقد تركزت هذه الملحمة حول الالهــة (تيامات) واتباعها من حشود التنانين ، وقد دونت هذه الملحمة باللغة الاكدية السامية على الواح يرجع تاريخها الى الالف الاول قبل الميلاد ، اى ان هذه الالواح قد دونت بعد كتابة المدونات الادبية السومرية بما يزيد على الف سنة ، وقد اوردنا ذكر هذه الملحمة كنموذج يمثل الاساطير السامية ، غير أننا اذا تفحصنا محتوياتها بصورة سطحية نجد الاصل الســومرى لهــذه الاساطير واضحا كل الوضوح ، كما نجد ان معظم ابطالها قد وردت اسماؤهم بأصلها السومرى •

ان الذى اعاق العلماء عن وضع اى بحث مقارن مهم فى هذا السبيل هو قلة المعلومات المتوفــرة عــن القصص السومريــة الاصل والتى تدور احداثها حول ذبح التنين ، ويسرنى بهذه المناسبة ان اكون فى وضع يمكننى من تقديم محتويات ثلاث روايات واضحة لاسطورة ذبح التنين السومرية •

لقد كان مضمون روايتين منها غير معروف ابدا ، وقد تسنى لى اعادة تركيب محتوياتهما وحل رموزهما منذ بضعة اعوام ، اما الثالثة فقد كانت معروفة فى حدود معينة منذ بضع عشرات الاعوام ، غير ان المواد الجديدة التى حصلت عليها من اسطمبول وفيلادلفيا ، قد اضافت الشىء الكثير الى محتوياتها ووضوح معناها •

ومن الواضح الجلى ، ان قصة ذبح التنين لم تنفرد بها اساطير بلاد ما بين النهرين ، ففى جميع العصور كان لدى جميع الشعوب تقريبا قصصهم الخاصة بذبح التنين ، وعند الاغريق بوجه خاص كانت احداث هذه القصص تشمل عديدا كبيرا من الابطال ، ومن النادر جدا ان نجد بطلا اغريقيا لــم

يذبح تنينه ، رغم ان (هرقل) و (برسيوس) يعتبران أشـــهر من ذبح التنين •

وبعد ظهور المسيحية ، انتقلت الاعمال البطولية الى القديسين والدليل على ذلك (قصة القديس جورج والتنين) والقصص الكثيرة المماثلة لهـــا والمنتشرة في كل مكان • اما الاسماء والتفاصيل فتختلف في كل قصة عن الاخرى وفي كل مكان عن الآخر •

وحيث ان موضوع ذبح التنين يعتبر من الافكار الرئيسة التي تضمنتها ادبيات الاساطير السومرية في الالف الثالث قبل الميلاد ، فليس من غـير المعقول الافتراض بأن الكثير من الخيوط التي تؤلف نسيج قصص التنين الاغريقية والمسيحية القديمة تعود الى اصل سومري • لدينا ، كما اسلفنا القول ، ثلاث روايات تضمنت اسطورة ذبح التنين كانت شائعة في سومر في الالف الثالث قبل الميلاد ، وتدور احداث اولى هذه الروايات حول اله المـاء (انكي) الذي يعتبر نظيرا لـ (بوزيدون) الاله الاغريقي ، وبطـل الرواية الثانية هو (ننورتا) الذي يقابله (مردوخ) عند البابليين والذي يقوم بدور (بطل الآلهة) في ملحمة الخليقة البابلية • وفي الرواية الثالثة ، تلعب (انانا) الدور الرئيسي وهي تقابل (عشتار) الالهة السامية ، وفي كل من هذه الروايات الثلاث ، نجد ان الوحش الذي يقتل هو (كور) ، وعلى الرغم من عدم تأكدنا حتى الآن من معرفة هيئة هذا الوحش وحجمه ، فأن الروايتين الاولى والثانية تصفانه على انه افعى كبير يعيش في قعر (العظيم الاسفل) الذي كان متصلا بمياه البحر الاول ويستدل على ذلك بمـا ورد في احدى هذه الروايات التي تقول بأنه بعد ان تم هلاك (كور) ، ارتفعت المياه الى سطح الارض وبنتيجة ذلك تعذر نمو النباتات والخضار • ويظهر ان الروايةالاولى هي اكثر الرواياتالثلاث اصالة ذلك لانها تضمنت تفاصيل ذات دلالات مهمة على الرغم من قلتها ، مثال ذلك ان المعركة التي دارت رحاها بين الاله

(كور) لم تحدث بعد مضي مدة طويلة على انفصال السماء عن الارض، اضف الى ذلك انها تحدثنا عن جريمة اختطاف احدى الالهات ، وهي لهذا السبب تذكرنا بقصة اختطاف (پرسيفونه) الاغريقية ، واخيرا تتضح اهمية هذه الرواية في حقيقة كون بطل احداثها هو (انكى) اله الماء ، واله الحكمة واحد الالهة الحاكمين والخالقين في سومر •

ولسوء الحظ لا يوجد لدينا سوى مقطع مختصر جدا كان المصدر الذي اعتمدنا عليه في سرد احداث قصتنا هذه ، اما الالواح التي تضمنت تفاصيلها فأنها ولا شك لا تزال مطمورة في خرائب سومر •

ان هذا المقطع هو جزء من مقدمة (ملحمة گلگامش وانكيدو والعالم الاسفل) ويمكن تلخيصه فيما يلي :

بعد ان فصلت السماء عن الارض ، حمل السماء (آن) اله السماء ، وحمل الارض (انليل) اله الهواء ومنذ ذلك الحين ارتكبت الاعمال الشريرة حيث اختطفت الالهة (ارشخيگال) واقتيدت عنوة الى العالم الاسفل ، ومن المحتمل ان الذي اختطفها هو (كور) نفسه ، وعلى اثر ذلك امتطى (انكى) سفينة لملاحقة (كور) ومهاجمته انتقاما منه (ان الاصل السومري لـ (انكي) غير مؤكد ولكنه اصبح فيما بعد من الآلهة ضمن مجموعة الآلهة السومرية وذلك في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد) ، ومضى كور يدافع عن نفسه بكل ضراوة واخذ يرشق (انكى) بكل انواع الحصى الصغيرة منها والكبيرة وقذف مقدمة سفينة (انكي) ومؤخرتها بمياه البحر الاول التي هي تحت سيطرته ، والى هنا تنتهي مقدمة هذا المقطع المختصر لان مؤلف ملحمة (گلگامش) لم يعر احداث ملحمة ذبح التنين اهتماما رئيسا بل انه كان متلهفا لمواصلة سرد قصة (گلگامش) وحسب وهكذا تركنا المؤلف في ظلام جهلنا بنتيجة ما اسفرت عنه هذه المعركة ، ومهما كان الامر ، فأغلب الظن ان النصر كان حليف (انكى) •

والحقيقة ان الغاية التي تهدف اليها الأسطورة هي ايضاح السبب الذي دعا القوم ، خلال العصور التاريخية ، الى اعتبار (انكي) الهاً للبحر الاول كنظيرة (بوزيدون) الاغريقي ، وتسمية معبده في (اريدو) بـ (دار البحر) • اما الرواية الثانية لاسطورة ذبح التنين فقد كانت المصدر الرئيسي الـذي اعتمد عليه المؤلفون الساميون في وضع ملحمة الخليقة البابلية وهي من هنا تتسم باهمية خاصة •

ان هذه القصة هي جزء من ملحمة كبيرة تتألف من اكثر من ستمائة سطر وخير عنوان تتوج به هو (مآثر (ننورتا) واعمالها البطولية) ، وفي امكاننا اعادة تركيب الجزء الاكبر منها معتمدين على ما لا يقل عن ٤٩ لوحا وكسرة ، وقد تم استنساخ ونشر ٣٠ لوحا منها من قبل مختلف العلمـاء وذلك خلال بضع عشرات الأعوام المنصرمة وبذلك اصبحت محتويات الجزء الاكبر من نص القصة معروفة بعض الوقت ، ومع هذا فأن تعدد الخروم والفجوات ادى الى عدم تمكننا من اعادة تنظيم بعض القطع المهمة على الوجه الصحيح •

وقد تيسرت مهمتي الى حد كبير ، حينما وجـدت في اسـطمبول وفيلادلفيا ، إكثر عشرين قطعة اخرى تعـود الى القصيدة وبذلـك اصبح النص ، رغم احتوائه على العديد من الكسور والخروم ، واضحا في معناه •

ان بطل هذه القصة هو (ننورتا) الاله المحارب ، وكان السومريون يعتقدون بأنه ابن (انليل) إلـه الهواء ، وتبدأ القصة بعد مقدمة من التراتيل ، بخطاب يوجهه (شارور) الى (ننورتا) سلاحه المتجسد ، ولسبب لم يذكر في النص يقف (شارور) موقفا عدائيا من (كور) ويخـاطب (ننورتا) بعبارات ملؤها الثناء والتمجيد ويحرضه على مهاجمة (كور) وقتله فينصاع (ننورتا) لهذا التحريض ولكنه لا يتمكن في بادىء الأمر من مهاجمته و (يفر كالطير) ثم يخاطبه مرة ثانية مشجعا اياه وحينئذ يقـوم (ننورتا)

بمهاجمة كور والقضاء عليه قضاء مبرما •

وبعد القضاء على (كور) تجتاح البلاد كارثة شاملة ، فترتفع المياه الاولى (التى كانت تحت سيطرة كور) الى سطح الارض وبنتيجة عنف ارتفاع هذه المياه يتوقف انسياب المياه العذبة الى الحقول والبساتين ويتسرب اليأس الى قلوب آلهة الارض الذين (يحملون الفأس والسلة) ، اى الآلهة المسؤلين عن ارواء الارض وتهيئتها للزراعة ويصبح دجلة نهرا ضحلا (لا يحمل المياه النافعة) :

كان القحط شديد الوطأة ، ولم يكن ثمة انتاج
ولم تنظف الانهر الصغيرة ، ولم ترفع عنها الاقذار
وليس ثمة غلة فى جميع الاراضى •
ولم ينبت بها سوى الاعشاب الضارة
حينئذ عزم الرب برأى سديد

(ننورتا) ابن (انليل) هو الذى يخلق كل شىء عظيم • ثم يضع (ننورتا) اكواما من الحصى على جثة (كور) ويكدسها بحيث تصبح اشبه بالجدار القائم الذى يكون سدا يصد تدفق المياه القوية وبنتيجة ذلك سرعان ما ترتفع المياه الكائنة فى البقاع المنخفضة وتصبح بمحاذاة سطح الارض ، ثم يقوم (ننورتا) بجمع المياه التى غمرت الارض ويسلطها على دجلة وبذلك يتمكن من ارواء الحقول بالمزيد من المياه كما ورد فى قول الشاعر السومرى :ـ

لقد جمع كل ما تشتت
كل ما بعثره (كور)
وجهه وسلطه نحو (دجلة)
اخذت المياه العليا تنساب الى المزارع
انه يرى كل شىء على وجه الارض
وقد سر كثيرا بما صنعه (ننورتا) ملك الارض

فأنتجت الحقول مزيدا من الغلة
واثمرت بساتين النخيل ومزارع الاعناب
وتكدست في الاهراء والتلال
والرب جعل الحزن يمحّى من على وجه الارض
وطيّب كبد الآلهة

وحينما تعلم (ننماخ) بالاعمال البطولية التي يقوم بها ولدها (ننورتا) ، ونظرا لما تكنه له من حب ، تصاب بقلق واضطراب وارق فتخاطب ولدها عن بعد وتتوسل اليه ان يسمح لها بزيارته لتقر عيناها برؤيته ، فينظر اليها (ننورتا) (بعين الحياة) قائلا :

ايتها السيدة ! حيث انك ترغبين في القدوم الى بلد اجنبي
يا (ننماخ) ! حيث انك ترغبين من اجلي في القدوم الى بلد معاد
وحيث انك لا تأبهين بهول المعارك التي تحيط بي
لهذا فأن التل كومته ، انا البطل

ليكن اسمه (خرساگ) الجبل ولتكوني انت ملكته ! وبعد ذلـــك يبارك (ننورتا) هذا الجبل الذي اطلق عليه اسم (خرساگ) لكي ينبت شتى انواع الاعشاب والنبيذ والعسل ومختلف الاشجار والذهب والفضة والبرونز والماشية والاغنام وجميع المخلوقات ذوات الاربع ، ثم يلتفت الى الحصى ويلعن اولئك الذين كانوا خصومه في معركته مع (كور) ويبارك اولئك الذين كانوا الى جانبه •

ان كل ما تضمنه هذا المقطع (من حيث الاســلوب وليس من حيث المحتوى) يذكرنا بالبركة واللعنة التي تلقاها ابناء يعقوب والتي ورد ذكرها في الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين • ثم تختتم القصيدة بمقطع يتضمن ترتيلة مطولة في تمجيد (ننورتا) والثناء عليها •

اما الرواية الثالثة من اسطورة ذبح التنين فأنها عبارة عن قصيدة تتألف

من اربعمائة وتسعين سطرا ، وخير عنوان نتوج به هذه القصيدة هو (انانا وايبيه) • ففي عام ١٩٣٤ تمكن كل من (ادورد كييرا) و (ستيفن لانگدون) من استنساخ ونشر ثماني قطع من القصة ولكن لم يفهم من محتواها الا النزر اليسير ، حتى ان سبع قطع لم تكن واضحة الصلة بالاسطورة ، وقد بذلت المزيد من الجهود لفحص نصوصها ومن ضمنها اربع قطع لم تكن معروفة من قبل ، حصلت على اثنتين منها من اسطمبول والاثنين الاخريين من فيلادلفيا وبذلك تمكنت من اعادة تركيب الجزء الاكبر من النص وذلك خلال العامين المنصرمين[1] •

ان قاتل التنين في هذه الرواية هو (الهة) مؤنثة وليس (الهاً) ذكراً ، ونعني بها (انانا) نظيرة عشتار عند الساميين ، ويتضح مما ورد في هذا النص الادبي بأن (انانا) لم تكن (الهة الحب) فحسب بل كانت (الهة الحرب والخصام) ايضا •

وفي احدى التراتيل اطلق على (انانا) اسم (قاتلة كور) وكانت هذه التسمية اللطيفة مدعاة الى الحيرة ، اما الآن فقد اتضحت لنا جلية الامر ، ففي اسطورتنا هذه ينبغي الا ننسى بأن (كور) يسمى ايضا (الجبل ايبيه) وهو الجبل الذي يقع في الشمال الغربي من سومر ، اي ان هذا (الكور) يمثل بلدا معاديا وليست له اية علاقة برواية (كور وننورتا وانكي) •

تبدأ القصيدة بمقطع طويل كرس لتمجيد مآثر (انانا) ، يلي ذلك خطاب مطول توجهه (انانا) الى (آن) اله السماء ورأس الآلهة في مجموعة الآلهة السومرية (وقد حل محله انليل) اله الهواء وذلك في الالف الثالث قبل الميلاد) ، والخطاب الذي توجهه (انانا) الى (آن) يتضمن مطلبا واضحا ، رغم انه لا يخلو من بعض الصعوبات في فهم معانيه وهو يتلخص بضرورة اعتراف (كور) بقوتها وجبروتها والا فأنها ستنزل

---

(١) انظر الهامش (٦) صحيفة (٤٧)

به ضربة ما حقه ، ويضطر (كور) الذى يظهر انه قد نسى قوتها وبطشها الى الاذعان والاعتراف بمآثرها البطولية ونقتبس فيما يلى جزءا من هذا المطلب الذى ينطوى على التهديد والوعيد :

سأطعنه بالرمح الطويل
الحربة ، السلاح ، سأقذف بهما عليه
وفى الغابات المجاورة ، سأضرم النار
وفى ...... سأضع القأس البرونزية
سوف اجفف جميع مياهه وسيصبح مثل (گيبيل) (اله النار)
سأنقل اليه الفزع فيصبح مثل الجبل (آراتا)

سوف لا ينهض ، وسيصبح مثل تلك المدينة التى غضب عليها (انليل) .
فيجيبها (آن) بخطاب مفصل يوضح فيه المتاعب والمزعجات التى سببها (كور) للآلهة قائلا :

سلط الرعب على دار الآلهة الشامخ
وادخل الخوف الى مسكن (الانوناكى)
لقد ملأ الارض فزعا

ويسلط اشعة نار الجبل الرهيبة على جميع ارجاء الارض ثم ان (آن) يخاطب (انانا) محذرا اياها من مغبة قيامها بمهاجمة (كور) ويعدد لها ما يتمتع به من قوة وثراء ، غير انها لا تكترث بهذا الخطاب المثبط لعزيمتها وتفتح (دار المعركة) وقد اخذ منها الغضب والحقد كل مأخذ وتجمع كل ما لديها من سلاح واعوان وتهاجم (كور) فتقتضى عليه وتنتصب واقفة على جثته الهامدة وتترنم بأنشودة النصر والحمد والفخر .

هبوط (انانا) الى العالم الاسفل

في خلال الاعوام الستة الماضية ، تسنى لي اصلاح وحل رموز هذه الاسطورة التي سميتها (هبوط انانا الى العالم الاسفل) والتي كان لها ابلغ الاثر في المفاهيم الادبية والميثولوجية ، اضف الى ذلك ان قصة حل رموزها تزودنا بمعلومات وافية وممتعة عن كيفية اصلاح نصوص المواضيع الادبية السومرية .

ومنذ سنوات بلغت قرابة نصف قرن ، كانت ثمة اسطورة تسمى (هبوط عشتار الى العالم الاسفل) معروفة عند العلماء والناس الآخرين ، وقد وجدت هذه القصيدة ، كما هو الامر بالنسبة لملحمة الخليقة البابلية ، مكتوبة باللغة الاكدية على الواح يرجع تاريخها الى الالف الاول قبل الميلاد ، ولهذا فأنها تعتبر احدث من الواحنا الادبية السومرية بما يقرب من الف عام ، وكانت اسطورة (هبوط عشتار الى العالم الاسفل) قد اعتبرت ذات اصل سامي كما هو الامر في ملحمة الخليقة البابلية قد تضمنت امهات الكتب التاريخية التي تبحث في الاساطير والاديان ، شواهد واقتباسات من هذه الاسطورة بأعتبارها نموذجا رائعا من التآليف الميثولوجية البابلية ، وبعد ان نشرت التآليف الخاصة بدراسة الآثار المكتشفة في (نفر) أتضح بصورة تدريجية بأن هذه الاسطورة (السامية) ترجع الى اصل سومري وان اسم (انانا) السومري قد استبدل باسم عشتار ، وكان (آرنو بوبيل) احد اساتذة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، اول من عثر على ثلاث قطع صغيرة تضمنت جزأ من موضوع هذه الاسطورة وكانت محفوظة في متحف الجامعة في فيلادلفيا وقد تم نشرها في مطلع عام ١٩١٤ ، وفي السنة ذاتها ، نشر (ستيفن لانگدون) من جامعة اوكسفورد قطعتين وجدهما في متحف الشرق القديم في اسطمبول ، وكانت احدى هاتين القطعتين تؤلف النصف الاعلى من لوح ذي اربعة حقول ، ولهذه

القطعة ، كما سيتضح فيما بعد ، اهمية كبيرة بالنسبة لاعـادة تركيب نص الاسطورة .

واكتشف (ادورد كيرا) ثلاث قطع اخرى فى متحف الجامعـة فأعدها للنشر فى مجلدين تضمنا نسخا من النصوص الادبية السومرية ، وقد اشرفت على نشر هذين المجلدين بعد وفاته وذلك بطلب من المعهـد الشرقى فى عام ١٩٣٤ .

وكان لدينا آنذاك ثمانى قطع ذات كسور صغيرة وكبيرة وكلهـا تتضمن موضوع الاسطورة ، ومع هـذا فقـد بقيت محتوياتهـا غامضـة

لان كثرة الخروم الموجودة فى الالواح سببت وجود ثغرات وفجوات فى تسلسل مجرى احداث القصة بحيث كان من المتعذر معرفة محتوياتهـا على الوجه الصحيح ، وكان الحظ حليف (كيرا) حينما عثر على الوسيلة التى انقذ بها الموقف ، فقد اكتشف فى متحف الجامعة فى فيلادلفيا النصف الاسفل من نفس اللوح ذى الحقول الاربعة الذى سـبق ان اسـتنسخه (لانگدون) من متحف الشرق القديم فى اسطمبول ، ويظهر ان هذا اللوح قد كسر قبل اجراء الحفريات الاثرية او خلالها ، فأصبح مؤلفا من قطعتين حفظت احداهما فى اسطمبول والاخرى فى فيلادلفيا ، غـير ان (كيرا) الذى كان على علم تام بأهمية اكتشافه هذا لم يسعده الحظ لاقتطاف ثمـار جهده حيث وافاه الاجل قبل ذلك .

وبفضل العثور على النصف الاسفل من اللوح ذى الحقول الأربعة ، رغم ما تعرض له من تلف ، تمكنت من اعادة تركيب محتويات الاسطورة ، لاننى عندما قمت بالصاق نصفى اللوح مع بعضهما اصبح النص بجملتـه هيكلا يسهل املاء الفجوات الموجودة فيه بالاستفادة مما تبقى من الكسـر الاخرى ، ومع هذا فلم يكن النص بطبيعة الحـال ، خاليـا من العديد من الكسرات والفجوات التى لم تجعل مهمة نقله وترجمته من الامور اليسيرة

كما بقيت بضع مقاطع مهمة من النص غامضة •

ولحسن الحظ اكتشفت في اسطمبول في عام ١٩٣٧ ، ثلاث قطع اخرى تعود للاسطورة وعند عودتي الى الولايات المتحدة في عام ١٩٣٩ ، وجدت في متحف الجامعة في فيلادلفيا قطعة كبيرة اخرى ، واخرى غيرها عثرت عليها في عام ١٩٤٠ ، وقد ساعدتني هذه الكسرات الثلاث على ملء الفجوات المهمة عند الشروع بعملية اعادة تركيب وترجمة النص ، وبنتيجة ذلك اصبحت الاسطورة ، على قدر المستطاع ، كاملة ، وقد تم الآن اعداد ونشر طبعة علمية تضمنت اصل النص ونقل حروفه وترجمته •

ان (انانا) ملكة السماء ، والهة الضياء والحب والحياة ، تصمم على زيارة العالم الاسفل ولعلها كانت عازمة على انقاذ عشيقها (تموز) ، فتجمع كل ما تحتاجه من مراسيم مقدسة وترتدي ثيابها الملكية وتتحلى بالاحجار الكريمة وتتهيأ لدخول (الارض التي لا رجعة منها)[٢] الارض التي تحكمها اختها الكبيرة ، ملكة العالم الاسفل ، وعدوتها اللدود (ارشخيگال) ، الهة الظلام والكآبة والموت ، وحيث ان (انانا) لا تأمن جانب اختها التي قد تقضي عليها في العالم الاسفل ، فقد أوعزت الى رسولها (ننشوبر)الذي هو رهن اشارتها دائما ، بأنها في حالة عدم عودتها خلال ثلاثة ايام فأن عليه ان ان يتوجه الى السماء باكيا ومولولا في قاعة مجلس الآلهة ، ثم عليه كذلك ان يذهب الى (نفر) • وهي نفس المدينة التي اكتشفت فيها الواحنا ، وان يقف امام (انليل) باكياً ومنتحباً وان يتوسل اليه لانقاذ (انانا) من قبضة (ارشخيگال) فأذا رفض (انليل) ذلك فعليه ان يتوجه الى (اور) ، وهي المدينة الكلدانية التي هاجر منها ابراهيم الى فلسطين كما ورد في اخبار التوراة ،

---

(٢) وتسمى بالسومرية (Ki - nu - gi) وترجمتها باللغة الاكدية (ارصت لاتاري) اي الارض التي لارجعة منها
انظر ملحمة گلگامش للاستاذ طه باقر – هامش ٦٣ صحيفة (١٠٧)
(المترجم)

وفي (اور) عليـــه ان يستعطف (ننا) اله القمر السومري العظيم فاذا رفض (ننا) التماسه أيضا ، فعليه ان يبكي ويتضرع امام (انكي) اله الحكمة وحينئذ فان (انكي)الذي يعرف (طعام الحياة) و (ماء الحياة) سيعيد الحياة الى (انانا) .

وبعد ان تتخذ (انانا) هـــذه الاجراءات ، تهبط الى العالم الاسفل وتصل معبد (ارشخيگال) المبني مـــن حجر اللازورد ، وفي باب المعبد تواجه الحاجب الذي يستفسر منها عن هويتها واسباب قدومها فتلفق عذراً كاذباً تبرر به اسباب قدومها ، ويتلقى الحاجب ايعازاً من سيدته (ارشخيگال) ويقود (انانا) متجها نحو الابواب السبعة في العالم الاسفل ، وفي كل باب تمر منه يسلب منها قسم من ثيابها وحليها رغم ممانعتها ، وبعد ان تلج الباب الاخير ، تقف عارية الجسم وتركع امام (ارشـــخيگال) و (الانوناكي) حكام العالم الاسفل السبعة المرعبين والذين سرعان ما ينظرون اليها (بنظرة الموت) فتستحيل جثة هامدة معلقة على عمود .

وبعد مرور ثلاثة ايام وثلاث ليـــال ، يتضح له (ننشوبر) في اليوم الرابع بأن سيدته لم تعـــد فيضطر الى تنفيذ تعليماتها بالتوجه الى الآلهـــة ، وكما تنبأت (انانا) فان كلا من (انليل) و (ننا) يرفض تقديم المعونة لها، وحينئذ يضع (انكي) خطـــة لاعادتهـــا الى الحيـــاة فيصنع (كورگالا) و (كالاترو) ، وهمـــا مخلوقان لا جنس لهمـــا (أي لا ذكر ولا انثى) ويزودهما بطعام الحياة وماء الحياة ويوعز اليهما بالذهاب الى العالم الاسفل لنثر هذا الطعـــام وهـــذا المـــاء ستين مرة على جثة (انانا) المعلقة ، فيتمثلان لامره وتعود اليها الحياة ، وعند مغادرتها العالم الاسفل وعودتها الى الارض ترافقها اشباح الموتى والغيلان والحيوانات المخيفـــة ، وهكـــذا تمضي الى سومر برفقة هذه الارواح المخيفة وتنتقل مشردة من مدينة الى اخرى .

وهنا نجد ان ما تبقى من مصدرنا المادي لهذه الاسطورة قـــد اصيب

بكسور وخروم ، ولكن الاسطورة لم تنته بعد ، وليس من المؤمل جداً ان يحين ذلك اليوم الذى تكتشف فيه القطع التى دونت عليها خاتمة هـــذه الاسطورة ونتمكن من حل رموزها .

وفيما يلي ترجمة حرفية للاسطورة رغم كونهـــا ليست كاملة ، الا انها تزود القارىء بصورة واضحة المعالم عما يتضمنه الشعر السومرى من خصائص فنية :

★ ★ ★

من (الاعلى العظيم) ، ازمعت الرحيل الى (الاسفل العظيم)
الالهة من (الاعلى العظيم) ، ازمعت الرحيل الى (الاسفل العظيم)
(انانا) شاءت الذهاب من (الاعلى العظيم) الى (الاسفل العظيم)
سيدتي ! هجرت السماء ، هجرت الارض
وهبطت الى العالم الاسفل
(انانا) رحلت عن السماء وتركت الارض
ومضت الى العالم الاسفل

★ ★ ★

(انانا) هاجرت من (ارك)
وقصدت العالم الاسفل
فى (بادتبيرا) هجرت (امشكلاما)
وهبطت الى العالم الاسفل
فى (زابالام) هجرت (گيگونا)
وذهبت الى العالم الاسفل
فى (اداب) هجرت (اشارا)
متجهة نحو العالم الاسفل
فى (نفر) هجرت (باراتشگارا)

واتخذت سبيلها نحو العالم الاسفل
في (كيش) هجرت (خرساگ كلاما)
ومضت الى العالم الاسفل
في (اگادة) هجرت (اولماش)
ومضت الى العالم الاسفل

★ ★ ★

ربطت المراسيم المقدسة السبعة الى جنبها
المراسيم المقدسة ، مبتغاها ، امسكتها بيدها
ال (شوگرا) ، تاج السهل ، وضعته فوق رأسها
فبدا على سيمائها البهاء
امسكت الصولجان اللازوردي بيدها
وربطت حول عنقها احجارا صغيرة من اللازورد
الاحجار المتلألئة وضعتها على صدرها
ووضعت سواراً من الذهب في معصمها
وغطت صدرها بدرع مرصع
وارتدت جميع ملابسها كسيدة وقورة
وطلت وجهها بدهان ال ....

★ ★ ★

لقد مضت (انانا) نحو العالم الاسفل
وسار الى جانبها رسولها (ننشوبر)
وقالت (انانا) الطاهرة لـ(ننشوبر)
ايه يا من كنت لي سنداً وطيداً
يا رسولي الذي ينطق بالبشائر
انني الآن ذاهبه الى العالم الاسفل

★ ★ ★

وعند ذهابي الى العالم الاسفل

املأ السماء بالشكوى من أجلي

وفي موضع اجتماع الآلهة المقدس ، ابك من أجلي

والى دار الآلهة اسرع في الذهاب من أجلي

وغض الطرف واصمت من أجلي

في ال ...... اخفض .... العظيم من أجلي

ولا ترتد الا ثوباً واحداً كما يفعل الصعلوك البائس

وحث الخطى نحو (ايكور) دار (انليل) وحده

وعند دخولك (الايكور) ، دار (انليل)

ابك امام (انليل) (وقل له)

أيها الاب (انليل) لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل

لا تدع معدنك النقي يختلط بتراب العالم الاسفل

ولا تترك حجرك اللازورد النفيس ، يتكسر ويصبح كأحجار البناء الصغيرة .

ولا تهمل خشب (البقس) ليصبح أخشاباً لاعمال النجار

وذد عن العذراء (انانا) لئلا تموت في العالم الاسفل

فان لم يستجب (انليل) الى طلبك فأذهب الى (اور)

وفي (اور) عند دخولك دار ال ..... في الارض

ال(اكشن شرگال) ، دار (ننا)

ابك امام (ننا) (وقل له)

ايها الاب (ننا) لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل

لا تدع معدنك النقي يختلط بتراب العالم الاسفل

ولا تترك حجرك ، اللازورد النفيس ، يتكسر ويصبح كأحجار البناء الصغيرة .

ولا تهمل خشب (البقس) ليصبح اخشابا لاعمال النجار
وذد عن العذراء (انانا) لئلا نموت فى العالم الاسفل
فان لم يستجب (ننا) الى طلبك فأذهب الى (اريدو)
وفى (اريدو) عند دخولك دار (انكى)
ابك امام (انكى) وقل له
ايها الاب (انكى) لا تدع ابنتك تموت فى العالم الاسفل
لا تدع معدنك النقى يختلط بتراب العالم الاسفل
ولا تترك حجرك اللازورد النفيس يتكسر ويصبح كاحجار البناء الصغيرة
ولا تهمل خشب (البقس) ليصبح اخشابا لاعمار النجار
وذد عن العذراء (انانا) لئلا تموت فى العالم الاسفل
أيها الاب (انكي) يا إلٰه الحكمة
ان من أحاط علماً بطعام الحياة ، ومن أحاط علماً بماء الحياة
لا ريب انه هو الذى سيبعثنى حية
اتجهت (انانا) الى العالم الاسفل
وقالت لرسولها (ننشوبر)
اذهب يا (ننشوبر)
والكلام الذي أمرتك به ******
وعندما وصلت (انانا) الى قصر حجر اللازورد فى العالم الاسفل
فى قصر العالم الاسفل ، تصرفت بدهاء
افتح الدار أيها الحاجب ، افتح الباب
افتح الدار يا (نتي) فأنني أبغي الدخول وحدي
أجابها (نتي) كبير حجاب العالم الاسفل
أجاب (انانا) الطاهرة

ترى من أنت ؟
انا ملكة السماء ، الموضع الذي تشرق منه الشمس
لئن كنت أنت ملكة السماء ، الموضع الذي تشرق منه الشمس
لماذا قدمت الى الارض التي لا رجعة منها ؟
وكيف قادك قلبك الى الطريق التى لا يعود منها المسافر ؟
أجابت (انانا) الطاهرة
ان اختي الكبيرة (ارشخيگال)
زوجها الاله (گوگالانا) ، قد قتل
لذا جئت لاشهد طقوس دفنه
..... هكذا كان
(نتي) كبير الحجاب فى العالم الاسفل
أجاب (انانا) الطاهرة
دعيني اكلم ملكتي (أرشخيگال)
يا ملكتي ! ان عذراء
تشبه الاله
...... البـاب
فى ...... (انانا)
ربطت المراسيم المقدسة السبعة الى جنبها
المراسيم المقدسة ، مبتغاها ، مسكتها بيدها
ال (شوگرا) ، تاج السهل ، وضعته فوق رأسها
فبدا على سيمائها البهاء
أمسكت الصولجان اللازوردي بيدها
وربطت حول عنقها أحجاراً صغيرة من اللازورد
الاحجار المتلألئة ، وضعتها على صدرها

ووضعت سواراً من الذهب في معصمها

وغطت صدرها بدرع مرصع

وارتدت جميع ملابسها كسيدة وقورة

وطلت وجهها بدهان ال ******

حينئذ ، (ارشيخيگال)

أجابت (نتي) كبير حجابها

هلم يا (نتي) يا كبير حجاب العالم الاسفل

اصغ الى الكلام الذي آمرك به

افتح أقفال الابواب السبعة في العالم الاسفل

وفي باب (گانزير) ، نفذ تعاليم العالم الاسفل

وحينما دخلت (انانا)

وانحنت ****** دعها

(نتي) كبير حجاب العالم الاسفل

الذي يحفظ شرف كلمة ملكته

فتح أقفال أبواب العالم الاسفل السبعة

وفي باب (گانزير) ، نفذ تعاليم العالم الاسفل

وقال ل (انانا) الطاهرة

هلمي يا (انانا) وادخلي

وعند دخولها الباب الاول

انتزع من رأسها تاج البسهل ال (شوگورا)

لم فعلت هذا ؟

يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي

يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل

وعند دخولها الباب الثاني

ال ..... أخذ منها الصولجان اللازوردي

لم فعلت هـذا ؟

يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي

يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل

وعند دخولها الباب الثالث

انتزعت منها أحجار اللازورد الصغيرة التي تربط عنقها

لم فعلت هذا ؟

يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي

يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل

وعند دخولها الباب الرابع

انتزعت منها الاحجار المتلألئة التي وضعتها على صدرها

لم فعلت هـذا ؟

يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي

يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل

وعند دخولها الباب الخامس

انتزع السوار الذهبي من معصمها

لم فعلت هـذا ؟

يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي

يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل

وعند دخولها الباب السادس

انتزع منها الدرع المرصع الذي يغطي صدرها

لم فعلت هـذا ؟

يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي

يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل

وعند دخولها الباب السابع
انتزعت منها جميع ثياب السيدات الوقورات
لم فعلت هذا ؟
يا (انانا) لقد نفذت مراسيم العالم الاسفل كما ينبغي
يا (انانا) لا تجادلي في شعائر العالم الاسفل
انحنت الى الاسفل
وجلست (ارشخيگال) الطاهرة على عرشها
والانوناكي ، الحكام السبعة ، أصدروا حكمهم أمامها
لقد حدقوا بعيونهم نحوها ، عيون الموت
بكلماتهم ، الكلمات التي تعذب الروح
استحالت الامرأة المريضة جثة
والجثة معلقة على عمود
وبعد ثلاثة أيام ، وثلاث ليال
رســـولها (ننشوبر)
رسولها الذي ينطق بالبشائر
حامل كلماتها الموثوق بها
ملأ السماء بالشكوى من أجلها
وبكى من أجلها في موضع اجتماع الآلهة المقدس
وأسرع من أجلها الى دار الآلهة
وغض الطرف وصمت من أجلها
ولم يرتد الا ثوباً واحداً كما يفعل الصعلوك البائس
وحث الخطى نحو (ايكور) ، دار (انليل) وحده
وعند دخوله دار (انليل)
بكى امام (انليل) وقال

أيها الأب (انليل)
ايها الاب (انليل) لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل
لا تدع معدنك النقي يختلط بتراب العالم الاسفل
لا تترك حجرك ، اللازورد النفيس ، يتكسر ويصبح كأحجار البناء الصغيرة

ولا تهمل خشب (البقس) ليصبح أخشاباً لاعمال النجار
وذد عن العذراء (انانا) لئلا تموت في العالم الاسفل
الاب (انليل) ، أجاب (ننشوبر)
ابنتي في (الاعلى العظيم) ••••• في (الاسفل العظيم)
(انانا) في الاعلى العظيم •• في (الاسفل العظيم)
مراسيم العالم الاسفل ، ال ••••• المراسيم الى محلها
من الذي ••••• الى محلها ؟
الاب (انليل) لم يقف الى جانبه فذهب الى (اور)
وفي (اور) عندما دخل دار ال ••••• الارض
ال (اكيش شيرگال) ، دار (ننا)
بكى امام (ننا) (وقال)
أيها الاب (ننا)
أيها الاب (ننا) ، لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل
لا تدع معدنك النقي يختلط بتراب العالم الاسفل
لا تترك حجرك ، اللازورد النفيس ، يتكسر ويصبح كأحجار البناء الصغيرة •

ولا تهمل خشب (البقس) ليصبح أخشاباً لاعمال النجار
وذد عن العذراء (انانا) لئلا تموت في العالم الاسفل
الاب (ننا) ، أجاب (ننشوبر)

ابنتي في (الأعلى العظيم) ••••• في (الاسفل العظيم)
(انانا) في (الاعلى العظيم) ••••• في (الاسفل العظيم)
لم يقف الاب (ننا) الى جانبه فذهب الى (أريدو)
وفي (أريدو) ، عندما دخل دار (انكي)
بكى أمام (انكي) (وقال)
أيها الاب (انكي)
أيها الاب (انكي) ، لا تدع ابنتك تموت في العالم الاسفل
لا تدع معدنك النقي يختلط بتراب العالم الاسفل
ولا تترك حجرك ، اللازورد النفيس يتكسر ويصبح كأحجار البناء الصغيرة •
ولا تهمل خشب (البقس) ليصبح اخشاباً لاعمال النجار
وذد عن العذراء (انانا) لئلا تموت في العالم الاسفل
الاب (انكي) ، أجاب (ننشوبر)
ماذا حدث الآن لابنتي ؟ انني مضطرب !
ما الذى حدث الآن ل (انانا) ؟ انني قلق !
ما الذي حدث الآن لملكة جميع العالم ؟ انني قلق !
ما الذي حدث للبغي المقدسة في هيكل السماء ؟ انني قلق
تناول الوسخ وصنع منه (كوراگارو)
تناول الوسخ وصنع منه (كالاترو)
واعطى (كوراگارو) طعام الحياة
واعطى (كالاترو) ماء الحياة
وقال الاب (انكي) ل (كالاترو) و (كوراگارو)
(١٩ سطراً مصابة بكسور)
حينما تعلق الجثة على عمود ، وجها أشعة النار المخيفة

ورشا عليها طعام الحياة ستين مرة ، ورشا عليها ماء الحياة ستين مرة
وستنهض (انانا) حتماً
(٢٤ سطراً مصابة بكسور)
عندما علقت الجثة على العمود ، وجها أشعة النار المخيفة
ورشا عليها طعام الحياة ستين مرة ، ورشا عليها ماء الحياة ستين مرة
واستيقظت (انانا)
وخرجت (انانا) من العالم الاسفل
أوقفها (الانوناكى) وقالوا لها
من ذا الذي هبط الى العالم الاسفل ونجا منها سالماً ؟
حينما صعدت (انانا) من العالم الاسفل
فارقها الموت حالا
حينما صعدت (انانا) من العالم الاسفل
الشاطين الصغيرة مثل ••••• القصب
الشياطين الكبيرة كأنها اقلام كتابة الالواح ، مشوا بجنبها
ومن مشى امامها كان بدون •••• امسك بيده صولجانا
والذين مشوا بجانبها كانوا بدون ••• حملوا السلاح على جوانبهم
الذين تقدموها
الذين تقدموا (انانا)
هم مخلوقات لاتعرف الطعام ولا تعرف الماء
ولا تأكل الدقيق
ولا تحتسي الخمرة التى تسكب على الارض تكريما للآلهة
وتسلب المرأة من حضن الرجل
وتبعد الطفل عن ثدى امه المرضع
خرجت (انانا) من العالم الاسفل

عندما خرجت (انانا) من العالم الأسفل
رمى رسولها (ننشوبر) بنفسه على قدميها
جلس على التراب ولبس ثيابا قذره
وقالت الشياطين لـ (انانا) الطاهره
انتظرى ، امام المدينة ، فسوف تأتى به لك
(انانا) الطاهرة ، اجابت الشياطين
انه رسولى ، الذى ينطق بالبشائر
انه حامل كلماتى الموثوق بها
انه لا يخيب ظني
انه لا يتأخر فى الاستجابة الى اوامرى
لقد ملأ السماء بالشكاوى من اجلى
وبكى فى موضع اجتماع الآلهة المقدس من اجلى
والى دار الآلهة اسرع فى الذهاب من اجلى
وغض الطرف وصمت من اجلى
ولم يرتد الا ثوبا واحدا كما يفعل الصعلوك البائس من اجلى
الى (ايكور) ، دار (انليل)
الى (اور) ، الى دار (ننا)
فى (اريدو) ، الى دار (انكى) وجه خطاه
لقد اعاد لى الحياة
لنسبقها ، فى (اما) الى (سيگكور شاگنّا) لنسبقها
فى (اما) من (سيگكور شاگنّا)
(شارا) رمى بنفسه على قدميها
جلس على التراب ولبس ثيابا قذرة
الشياطين قالت لـ (انانا) الطاهرة

انتظرى يا (انانا) امام المدينة ، سوف نأتى به لك
(انانا) الطاهرة ، اجابت الشياطين
(جواب (انانا) اصيب بكسور)
لنسبقها فى (باد تبيرا) ال (امشكالاما) لنسبقها
فى (باد تبيرا) من ال (امشكالاما)
رموا بأنفسهم على قدمى (انانا)
جلسوا على التراب وارتدوا ثيابا قذرة
الشياطين ، قالت ل (انانا) الطاهرة
يا (انانا) ، انتظرى امام المدينة سوف نأتى به لك
(انانا) الطاهرة ، اجابت الشياطين
(جواب (انانا) مكسور ، ونهاية القصيدة مفقودة)

الفصل الرابع

اساطير منوعـة

الطوفـــان

بعد ان تم اكتشاف وحل رموز اللوح الحادى عشر من ملحمـــة (گلگامش) البابلية منذ ما يزيد على ربع قرن ، اتضح بأن قصة الطوفـان التى دونها كتاب التوراة العبرانيون لم تكن اصيلة وانما هى من المبتكرات السومرية التى اقتبسها عنهم البابليون ووضعوها فى صيغة (اسطورة الطوفان البابلية) ، ففى عام ١٩١٤ ، نشر (آرنو پوبيل) ترجمة محتويات كسرة تضمنت الثلث الاسفل من لوح سومرى ذى ستة حقـول وجـدت ضمن مجموعة الواح (نفر) فى متحف الجامعة ، وكانت محتويات الجزء الاكبر من هذه الكسرة تدور حول اسطورة الطوفـان ، ولســوء الحظ لا تزال هذه الكسرة الوحيدة من نوعها غير مستنسخة حتى الآن ، ولم اتمكن من العثور ، سواء فى اسطمبول او فيلادلفيا ، على اية مادة تسهل لى مهمـــة اصلاح الجزء المكسور من محتويات هذا اللوح ٠

لقد تضمن القســم الاول مـن القصيدة ، موضوع خـلق الانسان والحيوان والمدن الخمس التى وجدت قبل الطوفـان ، وهـى (اريدو) (بادتبيرا) و (لاراك) و (سيبار) و (شروباك) ، ولسبب غير معروف قدر للجنس البشرى الهلاك بواسطة الطوفان ، ويظهر ان احد الآلهـة ، ولعله (انكي) اله الماء ، قد حزن لذلك فعقد العزم عـلى ايجـاد وسـيلة ما ينقذ بها الجنس البشرى من الهلاك فتوجه (زيو سودرا) الملك المتواضع الورع ونظير نوح فى التوراة ، واخبره بقرار الآلهة المخيف ونصحه ان ينقذ نفسه ببناء سفينة كبيرة ، ولكن المقطع الذى تضمن تفاصيل بناء هذه

السفينة قد كسر ، وفيما يلي ذلك من النص وصف لاحداث الطوفان من منتصفها :ــ

جميع العواصف القوية جدا ، هاجمت مجتمعة

وغمر الفيضان بعنف وجه الارض

وبعد سبعة ايام وسبع ليال

الفيضان ، هاجم الارض بعنف شديد

والسفينة العظيمة تقاذفتها العواصف فى لجة المياه

وجاء (اوتو) الذى اشرق بنوره على السماء والارض

وفتح (زيوسودرا) نافذة فى السفينة العظيمة

(زيوسودرا) الملك

سجد امام (اوتو)

وقتل الملك ثورا ، وذبح خروفا

ويلي ذلك كسرة كبيرة ، ثم تمضي القصيدة ، بعد اتضاح معنى النص على النحو التالى :

(زيوسودرا) الملك

سجد امام (آن) و (انليل)

ووهباه حياة تشبه حياة الآلهة

واعطياه نفسا خالدا كذلك الذى عند الآلهة

فى تلك الايام ، (زيوسودرا) الملك

الذى صان اسم ال .... والانسان

وفى جبل العبور ، جبل دلمون ، الموضع الذى تشرق منه الشمس .

(آن) و (انليل) جعلاه يسكن هناك

وما تبقى من القصيدة قد تعرض للتلف .

زواج مارتو

من بين مجموعة الواح (نفر) الموجودة فى متحف الجامعة ، لوح واحد تضمن نص هذه القصيدة ، وقد تم استنساخ وترجمة قسم منه من قبل (ادورد كيرا) وذلك منذ ما يقرب من عشرين سنة

لقد جرت احداث هذه القصة في مدينة (نيناب) ، مدينة المدن ، وبلدة الامارة ، والتى لم يتم تعيين موقعها فى بلاد ما بين النهرين حتى الآن ، والاله الحارس لهذه المدينة هو (مارتو) الاله السامى الغربى الذى جعله السومريون ضمن مجموعة آلهتهم • وقد وردت الاشارة الى زمن احداث هذه الاسطورة فى المقاطع المختصرة التى بدأت بها القصيدة والتى لا تزال غير واضحة المعنى :

كانت (نيناب) موجودة ، و (شيناب) لم تكن موجودة
وكان التاج النقي موجودا ، والخوذة المقدسة لم تكن موجودة
كانت الاعشاب الطاهرة موجودة ، وشجرة الارز المقدسة لم تكن موجودة
كان الاتصال الجنسي موجودا
وفى المروج كانت تتم الولادات

ولسبب لم يتضح فى النص يصمم الاله (مارتو) على الزواج ويتوجه الى امه طالبا منها ان تجد له زوجة

قال (مارتو) لامه
وهو يدخل الدار
فى مدينتى ، جعل اصدقائى لانفسهم ازواجا
وجيرانى جعلوا لانفسهم ازواجا
وفى مدينتى (انا وحدى) من بين اصدقائى ، لا زوجة لى
ليس لى زوجه ، ليس لى اولاد

وما تبقى من ابيات غير واضحة المعنى وتنتهى القصيدة بالبيتين التاليين :

يا اماه خذى لى زوجه
وسأقدم لك هديتى

فتستجيب امه لطلبه ، وتقام المرجانات الكبيرة فى (نيناب) ويحضرها (نمشدا) الاله الحارس ل (كازالو) ومعه زوجته وابنته ، ويقوم (مارتو) خلال هذه المهرجانات باعمال بطولية يسر لها (نمشدا) ويقدم ل (مارتو) الفضة واللازورد مكافأة له على اعماله هذه غير ان (مارتو) يرفض هذه المكافأة ويطلب بدلها الزواج من ابنته فيوافق (نمشدا) على ذلك مسرورا وكذلك ابنته ، ولكن احد اقربائها يتقدم اليها طالبا الزواج منها وهو يقصد بعمله هذا الحط من قدر (مارتو) واظهاره بمظهر انسان متوحش وغير مهذب •

لقد تناول لحما لم يطبخ
وطوال عمره لم يملك دارا
وحينما يموت ، سترمي جثته ولا تدفن
ايه يا •••••• لماذا تريدين الزواج من (مارتو) ؟
فتجيبه ابنة (نمشدا) ببساطة قائلة سأتزوج من (مارتو)
وبذلك تنتهى القصيدة

انانا تفضل الفلاح

ان هذه الاسطورة الزراعية الطريفة التى جعلت عنوانها (انانا تفضل الفلاح) تمثل نموجا آخر لقصة (قابيل وهابيل) ، ويقوم بأدوارها اربعة اشخاص وهم : (انانا) التى تبدو موجودة فى كل مكان ، واخوها (اوتو) اله الشمس ، والاله الراعى (دموزى) والاله الفلاح (انكيمدو) وتجرى احداث هذه القصة على النحو التالى :ـ

تعتزم (انانا) اختيار زوج لها ، ويقترح عليهـا اخوها (اوتو) ان تتزوج الاله الراعي (دموزي) الا انهـا تفضـل الزواج من (انكيمدو) الاله الفلاح ، ثم يأتي (دموزي) ويسألها عن اسباب تفضيلها الزواج من الفلاح في حين انه (اي دموزي) راعي ويملك كل ما يملكـه الفـلاح واكثر ، فلا تجيبه (انانا) على سؤاله هذا ، غير ان (انكيمدو) الفـلاح المسالم الحذر يحاول ترضية (دموزي) المولع بالقتال ولكن هذا الاخـير يشترط الحصول على مختلف انواع الهدايا كوسيلة لاسترضائه ، ونود ان نشير الى ان معنى القصيدة لم يكن واضحا كل الوضوح ، والجزء الواضح منه يبدأ بخطاب يوجهه (اوتو) اله الشمس الى اخته (انانا) .

يا اختاه ! ان الراعي الذي يملك الشيء الكثير
ايتها العذراء (انانا) لماذا لا ترتضينه زوجا لك ؟
ان سمنه جيد ، ونبيذ تمره لذيذ
وكل شيء تمسه يد الراعي يصبح زاهيا
يا (انانا) ، ان (دموزي) الذي يملك الشيء الكثير ....
لديه الجواهر الكثيرة والاحجار الكريمة فلماذا تصدين عنه ؟
سيأكل معك السمن اللذيذ .
يا حامية الملك لماذا ترفضين الزواج منه ؟
ولكن (انانا) تجيبه بالرفض قائلة :
لن اتزوج الراعي الذي يملك الشيء الكثير
في ...... الجديد لن اتبختر
في ...... الجديد لن انطق بكلمات التمجيد
انا العذراء ، سأتزوج الفلاح
الفلاح الذي يجعل النباتات تنمو بغزارة
الفلاح الذي يجعل الغلة تنمو بغزارة

وتستمر (انانا) فى ايضاح الاسباب التى تحملها على تفضيل الزواج من الفلاح ، ثم يتوجه نحوها الاله الراعى (دموزى) محتجا علـى هـذا الاختيـــار .

والمقطع التالى الذى تضمن هذا الاحتجاج له اهميته الخاصة لانـه يعكس نموذجا من المقاطع الشعرية التى يصعب فهم محتواها على الوجـه الصحيح .

الفلاح اكثر مني ... الفلاح اكثر مني

ما الذى يملكه الفلاح اكثر منى ؟

اذا اعطانى ثوبه الاسود ، اعطيته نعجتى السوداء

ولئن اعطانى رداءه الابيض ، اعطيته نعجتى البيضاء

ولئن سقانى اول نبيذ من تمره ، سقيته لبني الاصفر

واذا سكب لى نبيذ تمره الفاخر ، سكبت له لبني (الكيسم)

واذا سقانى من نبيذ تمره (الذى ينعش القلب) ، سقيته من لبني المليء بالزبد

واذا سقانى من خمر تمره الممزوج بالماء ، اسقيه لبن النبات

ولئن قدم لى حصته اللذيذة من الطعام ، قدمت له لبنى (نيتردا)

واذا قدم لى خبزه اللذيذ ، اقدم له جبنى المحلى بالعسل

واذا اعطانى باقلاءه الصغيرة ، اعطيته جبنى الصغير

اكثر مما يستطيع ان يأكل ، اكثر مما يستطيع ان يشرب

ساقدم له المزيد من السمن ، واقدم له المزيد من اللبن

اكثر منى ... ماذا يملك الفلاح اكثر مني ؟

ويلى ذلك اربعة اسطر غير واضحـة المعنى ، ثم يحـاول (انكي) ارضاء (دموزى) قائلا :

انت ايها الراعى لماذا اثرت الخصام ؟

ايها الراعى (دموزى) لماذا اثرت الخصام ؟

انا وانت ايها الراعى ، انا وانت علام نتنافس ؟
دع الخراف تأكل اعشاب الارض
في مروجى دع الخراف ترعى
في حقول (زبالم) دعها تأكل الحبوب
دع جميع قطيعك يشرب الماء من نهرى (انون)
ولكن الراعى يصر على عناده قائلا :
انا الراعى لا تتدخل فى زواجى .... ايها الفلاح يا صديقى
ايها الفلاح (انكيمدو) يا صديقى ، ايها الفلاح يا صديقى لاتتدخل
ثم يقدم له الفلاح مختلف انواع الهدايا :
القمح سأجلبه لك ... الباقلاء سأجلبها لك
باقلاء ال .... سأجلبها لك
العذراء (انانا) وكلما يسرك
العذراء (انانا) سأجلبها لك
وبذلك تنتهى القصيدة بانتصار الراعى (دموزى) على الاله الفلاح
(انكيمدو)

(ملحــق)

اصل طريقة الكتابــة السومرية وتطورهــا

ان طريقة الكتابــة المسماريــة ، هي فى اغــلب الظن ، من ابتكــار السومرين ، فقد اتضح بأن اقدم الكتابات المكتشفة حتى الآن ، والتى وجدت منقوشة على ما يزيد على الف لوح وكسرة يعود تاريخها الى النصف الاخير من الالف الرابع قبل الميلاد ، والتى عثر عليها فى الحفريات التى جــرت فى (ارك) فى السنوات الاخيرة ، اتضح بأنها قد تضمنت كتابات باللغــة السومرية •

وسواء كان السومريون هم الذين ابتكروا هذه الكتابة ام غيرهم ، فمن الثابت بأنهم هم الذين استخدموها كوسيلة للتعبير عن لغتهم فى الالف الثالث قبل الميلاد •

وبمرور الازمان ، اتضحت أهمية هذه الكتابة للشــعوب المجــاورة للسومر فأقتبسوها عنهم واتخذوها وسيلة للتعبير عن لغاتهم وساد استعمالها فى جميع ارجاء الشرق الادنى فى غضون الالف الثانى قبل الميلاد •

(١) كانت الكتابة المسمارية فى بادىء الامر على شكل كتابة صوريــــة وكانت كل علامة فيها تمثل صورة شيء ما او اكثر من الاشياء المادية المعينة وتدل على كلمة يطابق معناها صورة الشيء المرسوم او يقارب منه •

ان نقائص هذه الطريقة الكتابية واضحة ، ذلك لان اشــكال هــذه العلامات المعقدة والحاجة الى استعمال عدد كبير جدا من هذه العلامات ، كل ذلك حال دون انتشارها كأداة عملية طيعة ، وقد تغلب الكتاب السومريون على العقبة الاولى ونعني بها الشكل المعقد لهذه العلامات والرموز فتمكنوا من

تبسيطها واختزال هذه العلامات الصورية تدريجيا الى ان ابتعدت عن اصلها الصورى ، اما العقبة الثانية فقد تمكنوا من تذليلها بأستعمال اقل عدد ممكن من العلامات ضمن نطاق معقول وبأساليب مختلفة مفيدة ، ومن اهم هذه الاساليب هى استبدالهم اسلوب الكتابة الصورية الرمزية بأسلوب الكتابة الصوتية .

ان الجدول رقم (٥) الذى يجده القارىء ضمن مجموعة التصاوير المنشور فى هذا الكتاب (صحيفة ٩٧) يتضمن ايضاح تطور الكتابة المسمارية حسب تسلسل ارقامها المتدرجة من الاعلى الى الاسفل على الوجه التالى :

الرقم (١) صورة نجمة وترمز بالدرجة الاولى للكلمة السومرية (آن) اى (السماء) وقد اتخذت نفس الكلمة للدلالة على كلمة (دينگير) اى (اله)

الرقم (٢) تمثل رمزا لكلمة (كي) اى (الارض) ، ومن الواضح ان هذه العلامة يقصد بها ايضاح صورة الارض رغم ان تفسيرها لا يزال غير مؤكد

الرقم (٣) لعل المقصود بهذه العلامة اظهار شكل القسم الاعلى من جسم الانسان ، ويقصد بها التعبير عن كلمة (لو) السومرية اى (الرجل)

الرقم (٤) تمثل صورة (الفرج) وهى نفس العلامة المتخذة للدلالة عن كلمة (مونوس) اى (امرأة)

الرقم (٥) تمثل صورة جبل وهى مدلول كلمة (كور) السومرية ومعناها الاصلى (الجبل)

الرقم (٦) تصور لنا براعة الطريقة التى اتبعها مبتكروا طريقة الكتابة السومرية القدامى ، فقد تمكنوا بأتباع هذه الطريقة ، من التعبير عن كلمة يصعب التعبير عنها بالطريقة الصورية فقط ، فأتخذوا من تركيب علامتين

وسيلة للتعبير عن معنى جديد ، فالصورة الموجودة في هذا الحقل تتـألف في الواقع من علامتين هما (مونوس) اى (الامرأة) و (كور) اي (الجبل) (وهما العلامتان رقم ٤ و ٥) في هذا الجدول والمعنى الحـرفي لهـــذه العلامة المركبة هو (المرأة الجبلية) وحيث ان السومريين كانوا يحصلون على الاماء من المناطق الجبلية المجاورة ، لهذا فأن هذه العلامة المركبة تمثل الكلمة السومرية (كيمه) (geme) اى (الامة)

الرقم (٧) صورة رأس وهي تعني الكلمة السومرية ساگ (sag) أي (الرأس) •

الرقم (٨) وهذه أيضا تمثل صورة رأس ، وان الخطوط العمودية الموجودة فيها تشير الى أن جزءاً معيناً من الرأس هو المقصود بالتعبير عنه أي (الفم) ولهذا فأن هذه العلامة تعبر عن الكلمة السومرية (گـا) أي الفم واتخذت نفس العلامة للتعبير عن كلمة (دگ) (dug) أي (يتكلم)•

الرقم (٩) هذه العلامة تمثل وعاء يستعمل كأناء للطعام وتعني كلمة (نندا) السومرية أي (الطعام) •

الرقم (١٠) تمثل صورة مؤلفة من (فم) و (طعام) (رقم ٨و ٩) وتدل على كلمة (كو) السومرية أى (يأكل) •

الرقم (١١) تمثل صورة جدول ماء ، وهي تعبر عن الكلمة السومرية (آ) أي (الماء) • وهذه الصورة تقدم لنا أيضاحا جيداً لمرحلـة التطور التي فقد فيها الخط السومري خصائصـه الصوريـة ، فالعلامة (١١) التى تعبر بصورة رئيسة عن الـكلمة السومريـة (آ) (الماء) قـــد استعملت للتعبير عن حرف الجر (في) وهي من الكلمات التى يصعب التعبير عنها بعلامة صورية فأبتكر موجدوا الخط المسماري طريقة بارعة لتجنب استعمال علامة صورية للتعبير عن كلمة (في) فأستعملوا العلامة التى تعبر عـــن كلمة (الماء) (آ) لأنهما يلفظان بنفس اللفظ ، وبتعبير آخر ان الكتبـــة

السومريين القدامى قد ادركوا بأن علامة ما مخصصة للتعبير عن كلمــة معينة يمكن استعمالها للتعبير عن كلمــة اخرى لا تمت في معناها بصلــة للكلمة الاولى ما دام لفظ كل من الكلمتين يطابق الاخرى ، وبعــد ان اتسع مجال استعمال هذه الطريقة تدريجيا ، فقد الخط السومري خصائصه الصورية واصبح خطاً صوتيا •

الرقم (١٢) وهـــذه علامة مركبة من صورة (الفــم) و (المـاء) (رقم ٨ و ١١) وتعني كلمة (ناگ) السومرية (nag) أي (يشرب)

الرقم (١٣) وهي صورة الجزء الاسفل من الرجل والقدم في حالة المشي وهي تعبر عن كلمة (دو) (du) السومرية أي (يقف) •

الرقم (١٤) وهي صورة طير وتعبر عن كلمة (موشن) السومرية اي (طير) •

الرقم (١٥) وهي صورة سمكة وتعبر عن كلمـــة (خا) (ha) السومرية أي (السمكة) وهـذه الكلمة تصور لنا نموذجا آخر للتطور الصوتي الذي طرأ على الخط السومري ، فالكلمة السومرية (خا)(ha) تعني (سمكة) وفي الوقت ذاته فأن التعبير الصوتي لكلمة (خـا) هـــو نفس التعبير الصوتي المستعمل للدلالة على كلمة (لعل) او (ممكن) كما هو الامر تماماً في العلامة رقم (١١) التي مر ذكرها حينما اتخذ اللفظ الصوتي لكلمة (آ) (الماء) للتعبير عن كلمة (في) لتشابه اللفظين •

الرقم (١٦) تمثل صورة رأس بقرنين ، وتعنى الكلمة السومريــة (گد) أي (ثور) •

الرقم (١٧) تمثــل صورة رأس بقــرة وتعني الكلمة السومريـــة (آ ب) أي بقرة •

الرقم (١٨) تمثل صورة سنبلة شعير وتعني الكلمة السومرية (شي) أي (شعير) •

ان العلامات الاخرى التى تضمنتها الحقول الافقية تمثل التطور الذى طرأ على العلامات الصورية السومرية والذى اتخذ هيئة الخطوط التى اصطلح على تسميتها بالكتابة المسمارية بسبب تشابهها وأشكال رؤوس المسامير •

والحقـل الاخير من الجدول والمتدرج من الاعـلى الى الاسفل يمثل الخط المسماري الذي كان مستعملا فى بلاد آشور فى الالف الاول قبـــل الميـــلاد •

(انتهى)

الفهــارس

الآلهـــة

(أ)

(ب)

(ت)

(د)

(ر)

(م)

(ن)

البلدان والاماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(خ)

عمـــومي

(أ)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

١٥٤/٢٠٠٠
١٩٧١/١/١٥